أنموذج الجمال في شعر عمر بن أبي ربيعة

(دراسة أسلوبية إحصائية)

د. رفيقة بن رجب *

E.mail: reefbinrajab@yahoo.com

* قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة البحرين

أنموذج الجمال في شعر عمر بن أبي ربيعة
دراسة أسلوبية (إحصائية)

د. رفيقة بن رجب

الملخص:

في هذا البحث تناولت أنموذج الجمال في شعر عمر بن أبي ربيعة (وطبقت عليه الدراسة الأسلوبية الإحصائية) وتناولت من خلال ذلك لغة الشاعر الجمالية وتمَّ توزيعها على عدة محاور وقد أرفقتها بجداول إيضاحية لدراسة بعض المفردات اللغوية لجمال الوجه، وجمال الفم، وجمال العين والجيد، وجمال الشعر، وجمال الجسم، وجمال الحركة، وجمال الهيئة والصفات.

ثم انتقلت إلى ظاهرة نموذج الجمال لديه وبرز هذا الجانب واضحاً من خلال ما ذكر من نساء كهند، ونعم، وزينب والرباب وسواهن وقد رصدت العلاقة بين عمر وبينهن من خلال جداول توضيحية أيضاً.

وعلى ذلك فإن خصائص المثل العليا في التعبير والتصوير عند عمر هو عالم الطبيعة وما فيه من عناصر جمالية رائعة تجسدت في مغامراته، فبدا أنموذج الجمال لديه متألقاً مصوراً في عالم محسوس – ومعجمه مستمد من الإنشاء التراثي وصوره تجري على التأكيد البياني العربي.

فأنموذج الجمال لديه هو أنموذج عربي تراثي.

مصطلحات أساسية: المحاور الجمالية، التصور التراثي، طبيعة الحب العمري، تعدد النساء لديه، المرأة المثال.

The Model of Beauty in Omar bin Abi Rabia's Poetry: A Strylistic and Statistical Study

Dr. Rafeeqa Bin Rajab

Abstract:

This paper attempts to study the beauty model in Omar bin Abi Rabia's poetry, employing a stylistic and statistical approach. The poetic language pertaining to beauty in his poems are studied here, with a focus on certain features such as, vocabulary used to describe facial beauty, the mouth, the eyes, the neck, the hair, the body, the movement and nature of women. A table to show these features is attached at the end of the study.

Then, I shifted to the beauty model, which is clear through the poet's description of women, e.g., Hind, Zainab, Ar-rabaab. The relationship between the women and Omer is also supplemented in this paper by tables.

Based on the above findings, it is evident that the ideal approach to description is through nature and its beauty elements, which in turn were reflected in his adventures. The beauty model for this poet, therefore, was pictorial and vivid in a living world, while his vocabulary was based on traditional Arab writing, and his pictures were framed in Arabic rhetoric.

The beauty model for him is shown to be the traditional Arabic model.

Keywords: Aesthetic themes, Cultural conception, The nature of Omari love, The concept of many women, The ideal woman

المقدمـة :

كثرت الدراسات التي تناول فيها أصحابها أعلام الشعر العربي، قديمه وحديثه، مستهدفة إبراز العوامل المؤثرة في شخصياتهم وشعرهم، واختلف نصيب هؤلاء الشعراء من الدراسة: فمنهم من حظي بدراسات متعددة بتعدد وجهات النظر وما يوحي به شعرهم من ثراء أو غِنىً في الجوانب المختلفة، ومنهم من لم يحظ إلا بجزء قليل من التناول. ولعل إغراءات التناول لا تنحصر في شعر الشاعر فحسب، وإنما هناك من العوامل ما يغري الباحث بتناول هذا الشاعر أو ذاك؛ منها: طبيعة تفرده بظاهرة معينة، سواء أكان ذلك في لغته وأسلوبه، أم في طبيعة الأغراض التي تعرض لها، أم في طبيعة العصر والحياة الاجتماعية التي عاشها الشاعر وأضفت على شعره مذاقاً خاصاً وطبيعة متفردة بزَّ بها معاصريه، أم تجلت في شعره على نحو أكثر مما هي عند أنداده ومنافسيه، أم فيما يتمتع به الشاعر من شاعرية وعطاء موفور.

ولعل عمر بن أبي ربيعة قد حظي بدراسات وبحوث كثيرة تناولت في أكثرها ثلاثة جوانب من الجوانب الأدبية التي ذكرناها آنفاً.

فقد ركزت هذه الدراسات في جانبها الأكبر على طبيعة العصر والحياة الاجتماعية وما أضفته على شعره من مزاج خاص وطبيعة تكاد تكون متفردة، أو على طبيعة الأغراض التي تعرض لها الشاعر فألهبت حماسة الباحثين لدراسة شعره وعصره. غير أن أكثر هذه الدراسات قد اقتصرت في دراسة الظاهرة اللغوية في شعر الشاعر، وما تستجيب له من شحنات دلالية خاصة، وبمعنى آخر فإن هذه الدراسات لم تتناول نظام لغته وأسلوبه إذ تتجلى طبيعة نظام اللغة والأسلوب من حيث التطور والتحول والجمود على وضعيته القديمة وملازمتها إلا بعض الدراسات كالدراسة التي أفردها المستشرق الألماني باول شفارتز Paul Schwarz في الجزء الثالث من نشرته لديوان عمر التي صدرت في كيبزنغ في مطلع هذا القرن (سنة 1910) لدراسة لغة عمر.

ولست أزْعم القيام بهذا العمل في هذه الدراسة، ولكنها محاولة للوقوف على أنموذج الجمال في شعر عمر بن أبي ربيعة؛ إذ إن الالتفات إلى ذلك ربما يفتح المجال أمام الاختيارات المنهجية الجديدة التي تفيد من الدراسات الحديثة بمناهجها الفنية. ولاشك في أن الحديث عن دراسة أسلوبية إحصائية، وتعدد النساء عند عمر، ترغبني في تتبع الشاعر الذي تداولته الأقلام وتناقلته الألسنة إذ لم تترك قولاً أو لفظاً أو كلمة إلا وهو مبثوث بين طيات الكتب ومدلولات الروايات والدراسات المختلفة.

وأود هنا أن أشير إلى نقطة مهمة ربما تلفت نظر القارئ إلى هذا البحث وهي قلة المصادر والمراجع التي اعتمدتها؛ ولعلي قد تعمدت ذلك؛ لأن الدراسة تقوم على جهد ذاتي تمخضت عنه بعض الإحصاءات التي سلطت الضوء على بعض الجوانب.

فهذه -لا شك- ساحة كثر روادها وتعدد واطئوها ولن تجد لآثار بين خطاك بقعة بكرا، بل لابد أن تتقصى الآثار وتحذو النعل بالنعل، فما حيلة المضطر إلا أن يركب الصعب، والصعب هنا هو فتح الباب على الاختيارات المنهجية الجديدة أو المغايرة على الأقل.

ولقد كانت المصادر والمراجع التي تناولت عمر كثيرة جداً، ومن ثم لم أعان فقراً أو مشقة من هذه الناحية، ولكن مشقة الدراسة كانت منبثقة في

نهاية الأمر عن عدم وجود جديد فيما جرت العادة على تسميته بالإطار العام لحياة الشاعر أو سيرته بما يكتنفها من علاقته بأسرته وأثرها في سلوكه ومزاجه وطبيعة توجهه، غير أن الشاعر لا يكشف لنا عن ملامح هذه العلاقة كشفا مباشراً.

وأما علاقته مع بيئته، وهي إطار أشمل من الإطار السابق، فأكاد أقرر أن طبيعة شعره ومزاجه إنما هي تمثيل لهذه البيئة فقد ((ضرب بعزهم المثل))[1] بل إن شعره هو نقطة التماس بين ذاته وبين هذه البيئة بما تشمله من تظرف، ولهو، ومتعة، وغنى، وتوجهات جمهور من المتلقين يقبل أكثرهم على مجالات الظرف والمتعة. ومن ثم، كان موقفه من الحياة متأثراً بتلك العلاقة مع أسرته وبيئته. هذا، وبالرغم من أن بعض الكتب تشير إلى أنه ابن ولد إلا أن صحة الخبر مختلف فيها ((وقال عمر بن شبة: أم عمر بن أبي ربيعة أم ولد سوداء من حبش يقال لهم: فرسان وهذا غلط من أبي زيد، تلك أم أخيه الحارث بن عبدالله))[2]، ويكاد مزاجه اللاهي وما يشيع في بيئته من لهو ومتعه يستبدان بشعره. ولا يعني ذلك أن شعره يفتقد المضمون الفكري؛ لأن الشاعر لا يتهيأ له أن يقول كلاماً شعرياً دون مضمون فكري يتميز بإمكانات الأداء الفني، وعمر بن أبي ربيعة يقف في حياته اللاهية وغزله موقفًا خاصًا من الحياة وهذا قد أعطى للآخرين انطباعًا بعدم جديته، وإن كانت الجدية تتفاوت نسبياً بين مستخدميها. ولعل هذه المحاور التي ذكرتها تؤثر تأثيراً مباشراً في طبيعته الشعرية عموماً والغزلية خصوصاً.

ومن هنا، لاحت لي فكرة البحث عن أنموذج الجمال لديه ومدلول ذلك، وتتبع طبيعة هذا الأنموذج الذي ينحصر في بعض الوظائف التي حددت طبيعة غزله، وتكوين القصيدة الغزلية عنده بما تقوم عليه من رصد مواطن الجمال والفتنة. وما كان رصدي لمعجم عالمه الشعري في هذه الناحية ليطمح لرصد كلامه الشعري الفردي الخاص في النظر لطبيعة الجمال ومدى التطور أو الجمود على التقليد والإنشاء التراثي.

1- لغة عمر الجمالية:

إذا كان عمر شاعر الجمال والفتنة، فهل لنا أن نتعرف إلى طبيعة الجمال عنده؟ ومن هي المرأة التي شغل بها عمر وألقى عليها الضوء في أغلب قصائده؟ وهل لبيئته الأثر في كيفية اختياره للمرأة؟ نعم؛ إذ لا شك أنه ((نشأ كلفاً بالجمال في مظهره الحي الماثل مثول الفتنة، يخلب الحواس ويثير النفس))[3] حين جنح عمر للتغزل بالمرأة ووصف جمالها، كنا نتوقع أن يكون له كلامه الشعري الفردي الخاص، الذي يشكل الفاعلية الأساسية لتجربته الذاتية، وتنتظم في نسيجه الشعري مكونة عالمه الشعري الخاص في النظرة لطبيعة الجمال، سواء أكان ذلك على مستوى المعجم الشعري، والأنساق التركيبية أم الصورة الشعرية التي تشكل نسيج النص.

إن الألفاظ والصيغ التي يتكون منها معجم الشاعر هي أساس التشكيل الجمالي لشعره وتجلي رؤيته، لصعوبة فصلها عن التشكيل الجمالي للتجربة، وهي نفسها التي تتكون منها الصور والإيقاع.

وقد استجابت لغة عمر من ناحية الأداء الفني لزمانها في داخل العمل الأدبي ولو بقدر نسبي، والاتجاه هنا يكمن في اختيار اللفظة المشاكلة لحياة أصحابها، بما فيها من روح الانتساب إلى الإنشاء التراثي، على أن البحث في الصيغ المتكررة في

التأليف الشعري هو الأساس الذي يدور عليه نطاق وصف الجمال عند عمر؛ إذ يشكل أساس الإنشاء التراثي الفاعلية الأساسية فيه، مما يجعله يولد تصوراً بلاغياً للمرأة يستقى من تراسم التصور الجمالي للمرأة، أو تصور العرف والعادة، ويحمد من المرأة ما يحمد الرجل الذي نشأ في الترف والنعمة، فتخضع اللغة عنده لمنطقها الجماعي التراثي، مما يجعل إمكانية الإسهام بالكلام الفردي محدودة جدا، فتصور المرأة عند عمر يمتح من منابع التصور التراثي باستخدام التفاصيل والصيغ التراكمية، وإن كان هذا العرف يطرأ عليه عارضان ((يغيرانه وينحرفان به عن قصده وهما معيشة الحضارة، والبيئة الاجتماعية التي كان عمر ينتمي إليها.))[4]. فما يصدق على هند يصدق على الرباب وزينب وغيرهما، لغة تفرضها شروط الإنشاء العربي، والذوق العربي فهو إنشاء تراثي، بحيث يكون النص تجسيدا للمستوى الواعي من العملية الشعرية ويغلب على ديوانه تناوله للفظة المختصة بجمال المرأة، وورد في كتاب الأغاني: ((قال الزبير: وسمعت عمي مصعبًا يُحدّث عن جدي أنه قال مثل هذا القول، قال: وحدثني عدة من أهل العلم أن النصيب قال: لعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال))[5] على أن التصور البلاغي يفرض عليه توزيع صفات الجمال على كل نسائه؛ مما يجعله يعشق صفات معينه تكون عنده المستوى المثالي للجمال، وهذه الصفات هي التي تجعله يهذي ويشبب الأشعار كما يقول:

وبتلك أَهذي ما حييتُ صبابةً

وبها الغداةَ أشبِّبُ الأشعارا[6]

فمصادره في التصوير هي مصادر الإنشاء التراثي نفسه، ولغته طيعة قريبة من الألسنة ((مألوفة، وأكبر الظن أنها كانت من نفس لغة الناس اليومية))[7].؛ لأنه يعبر عن مجتمعه والناس الذين يعيشون في هذا المجتمع، ويتبين من رصد الألفاظ والصيغ في معجم الشاعر أنه قد استخدم في ديوانه بعض العائلات اللغوية والصيغ المكررة وكنايات الجمال، ((وقد تتضح هذه الحقيقة إذا تتبعنا دوران تشبيهات ومجازات يستخدمها الشاعر في وصف الثغر والوجه وجمال العيون والحركة[8]))

وعلى الرغم من أن تشبيهاته ومجازاته جاءت امتداداً من التراث، إلا أن تكرار الذكر لديه عبر عن مواقف مختلفة طبقاً للسياقات التي وردت فيها، فكل موقف يعكس حالة نفسية وفكرية خاصة. وسوف نلاحظ ذلك أثناء قراءة الجداول.

وتوزعت محاوره كالآتي:

2- **جمال الوجه:**

من خلال هذا المحور سوف نلاحظ أن عباراته وصيغه في معظمها تدل على النعومة والبهاء والإشراق، وأبرز مصادر النور المعتمدة هنا هي الشمس والقمر وما يأتي في معناهما أو يدل عليهما، وحاول الشاعر أن يتفنن في التعبير عن النور الذي يعني به جمال وجه المرأة، واتخذ منه صوراً لجمال وجهها، حتى إذا جاء في السياق مع ضده إنما يهدف للدلالة على الزيادة في النور والضياء.

الجدول التوضيحي لبعض المفردات اللغوية لجمال الوجه موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	بيض الوجوه	الدخول في غير ميعاد	25	5	2
2	غراء واضحة الجبين	إلى ربه البغلة الشهباء	83	7	1
		سبت الفؤاد وأسرته	144	7	1
		الغراء التي زمت فؤاده	206	6	1
		لا تزال لنا هوى	392	3	2
3	من البيض	صريع الهوى	127	14	1
4	كالقمر	كيف أصبر عن سمعي وعن بصري	137	2	2
5	شمس الضحى	نعتوها فأحسنوا النعت	152	16	2
		ذات حسن	246	1	1
		بوح	384	14	1
6	مثل المصابيح	يا هند	162	18	2
7	وحلت أسيلاً ريان مثل فجاءة البدر	فاطمة سلافة خمر	172	7	2 + 1
8	آنسة كالهلال	أمنيات في ظلام الليل	191	7	2 + 1
9	واضح اللون محيضا	القلب المهيض	210	5	2
10	فالتفت بوجه واضح كالبدر	الفؤاد الموجع والعين الدامعة	228	9	1
11	غادة مثل الهلال	فجعتنا أم البشر	289	7	2
12	كسنا البرق	الوعد عند سدرتي مالك	290	5	2
13	وأسيل من الوجوه نضير	لا أخون الخليل	301	8	1
14	مصابيح بيعة	الوجد المقيم	329	4	1
15	مُبَتَّلةٌ صفراء	الطيف الغريم	340	4	1
16	البهاء	ذكرى ليلة	356	4	1
17	بيضاء ناصعة البياض	لا تزال لنا هوى	392	4	1
18	كدرة الصدف الكنين	لا تزال لنا هوى	392	4	2
19	وبوجه ذي بهجة	كيف اصطياد عاقلا	403	2	2
20	لاح لوح البرق	ذات البهي	422	8	2

((ووصفه لا يتجاوز تلك القيم الجمالية العامة الشائعة في ذلك العصر في تشبيهات يسيرة مألوفة، بالصبح أو الشمس أو القمر في البهاء))[9]

وعلى الرغم من دوران هذه الصور وشيوعها في الشعر القديم؛ إلا أن عمر استطاع أن يطوعها للغته بشكل يتماهى مع السياق ويتفاعل مع الحدث.

كقوله على سبيل المثال: ص 83

كالشمس صورتها غراء واضحة

تُعشي إذا برزت من حسنها السرج

وفي موضع آخر ص 392

بيضـــاء ناصعـة البيـــا

ض، كـــدرَّة الصـدف الكنـــين

ويكلف الشاعر بجمال الفم خاصة من ملامح الوجه، وتتعلق صوره بحاسة الشم والذوق مع وضوح اللون ونقائه، وحسن اصطفاف الأسنان، واللون المفضل تقليدي في اللثّات. فالعرف في جمال الفم في تقاليد الغزل التراثية، وإن كان يطرأ عليه عند عمر معيشة الحضارة والترف فيما يدل على الذوق والشم.

الجدول التوضيحي لبعض المفردات اللغوية لجمال الفم موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	عنوان القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	طيبة الريقة والنكهة	خلطت حسناً بطيب	59	2	1
2	شتيت النبت	خلطت حسناً بطيب	59	6	1
3	أحوى	وحشية كراع الغميم	63	8	2
4	أغر مفلج، عذب اللثات لذيذ طعم المشرب	طرب الفؤاد وما له من مطرب	72	5	2 + 1
5	العذب الرطيب بريقها	من ذا يلمني إن بكيت صبابة	84	10	1
6	تفتر عن أشنبها حين تجلوه أقاح أو برد	ليت هنداً	102	7	1+2
7	بذي أشر شتيت النبت صافي اللون كالبرد	صادتني ولم أصد	110	4	1+2
8	يمجُّ ذكي المسك منها مقبل	أمن آل نعم	122	37	1
9	نقي الثنايا ذو غروب مؤشر	أمن آل نعم	122	37	2
10	إذا ما افترعنه كأنه حصى برد أو أقحوان منور	أمن آل نعم	122	38	1+2
	أقحوان منور	صريع الهوى	127	12	2
11	واضح الأنياب متسق .. عذب المقبل	تكاد من ثقل الأرداف تنبتر	133	13	1
12	كالمسك شيب بذوب النحل يخلطه ثلج بصهباء	تكاد من ثقل الأرداف تنبتر	133	14	1+2
13	عتيق الخمر خالطة شهد	قل للمليحة	136	18	1
14	ومسك خالص ذخر	قل للمليحة	136	18	2
15	رقراق له أشر	قل للمليحة	13	19	2
16	تفتر عن ذي غروب طعمه عسل	واهاً لعفراء	142	5	1
17	مفلج النبت رفاف له أثر	واهاً لعفراء	142	5	1+2
18	كأن فاها خمر ببيسان	واهاً لعفراء	142	6	1+2
19	ذي رونق	الغادة الخمصانة	147	15	1

20	لو كان في غلس الظلام أنارا	الغادة الخمصانة	147	17	1
21	فأذاقت لذيذاً كجني النحل	يا ابن عمي فدتك نفسي	159	27	2
22	تفتر عن بارد مقبله مفلج واضح له أشر	ياهند	160	12	2 + 1
23	فأذاقتني لذيذاً خلته ذوب نحل شيب بالماء الخصر	قلبك أقسى من حجر	167	17	2 + 1
24	وكأن فاها بعد ما رقدت تجري عليه سلافة الخمر	فاطمة سلافة خمر	172	4	1+2
25	وشتيت النبت متسقاً	تساؤل وحيرة	180	16	1
26	وثغر واضح رتل ترى في حدّه أشرا	سؤال عن العهد والميثاق	185	10	1+2
27	وإذ هي تضحك عن نير لذيذ المقبل، عذب خصر	وصف الحبيبة لا يتغير	193	16	1+2
28	شتيت المراكز أحوى اللثات	وصف الحبيبة لا يتغير	193	17	1
29	كدر تنضد فيه أشر	وصف الحبيبة لا يتغير	193	17	2
30	عذب الطعم غراً كأقاحي الرمل بيضاً	القلب المهيض	210	6	1+2
31	طيب المنسم عذب الثنايا	اعترفهم ثم ادركنا	234	12	1
32	وأخال ثلجاً طعمه قرقف حمش اللثات أعجف	ترشفني وأرشف	240	19	1+2
33	يا طيب طعم ثناياها وريقها	لها من الرئم عيناه	292	5	1
34	طيب ريقها قد خالط العسلا	لها من الرئم عيناه	292	4	2
35	كالأقحوان عذب طعمه رتلا	قفا نستخبر الطللا	299	8	2
36	غرٌ شتيت نباته عذبٌ ثناياه	نؤوم الضحى	309	9	2 + 1
37	لذيذ المقبل	نؤوم الضحى	309	9	2
38	كأن سحيق المسك خالط طعمه	نؤوم الضحى	309	12	1
39	تفتر عن ذي أشر بارد عذب إذا ما ذيق سلساله	القلب ساعة الرحيل	318	3	2 + 1
40	طيب المنسم عذب الثنايا	فيالك ليلاً	325	26	2
41	واسقى بعذب بارد الريق واضح لذيذ الثنايا طيب المتنسم	فيالك ليلاً	325	26	1+2
42	عذب الثنايا طيب المبسم	وعد بالوصل	332	2	2
43	وشتيت أحوى المراكز عذبٌ	طال ليلي	355	8	1
44	وشتيتاً بارداً تحسبه دراً نظيماً	هجوم الصبح	360	7	1+2
45	فأذاقتني لذيذاً خلته راحا ختيماً	هجوم الصبح	360	16	1+2
47	شابه شهد وثلج	هجوم الصبح	360	17	1
48	بارد الطعم شتيت نبته كالأقاحي ناعم النبت ثري	ذات الدل البهي	423	7	1+2
49	وأضح عذب إذا ما اتسمت لاح لوح البرق في وسط الحبى	ذات الدل البهي	423	8	1+2
50	طيب الريق إذا ما ذقته قلت ثلج شيب بالمسك الذكي	ذات الدل البهي	423	9	1+2

ولعل كثرة المواضع التي يذكر فيها عمر الفم ورصدي لها بهذا الشكل الدقيق؛ لأنه يعكس مواقف مختلفة له مع محبوباته، وهذه المواقف لا تتشابه في جميع السياقات ((ذلك لأنه لكي يكون لكل فم جماله الخاص، لابد أن يكون له وجوده الخاص، وأن يحس به الشاعر إحساساً فردياً متميزاً نابعاً من شخصية

المرأة وطبيعة العلاقة بينه وبينها، وحينئذ يمكن أن يتجاوز إحساس الشاعر به هذا المظهر الجسدي ليرى فيه معاني من العذوبة أو الإنسانية أو التعاطف أو الفكر أو الأسلوب الخاص في الحديث. ويمكن أن يتغير هذا الإحساس من لحظة إلى أخرى ومن لقاء إلى آخر، فيغدو الفم ترجماناً عن حزن أو سرور أو حب أو نقص، أو معبراً عن ومضة شعورية أو فكرية خاصة أو غير ذلك مما يمتزج فيه الجمال الجسدي بمعانٍ أخرى من الجمال النفسي والفكري)) [10]

وكأن وصف عمر الدقيق للمرأة، وتعدد الصفات التي ذكرها للفم من خلال الجدول المرفق، يريد أن يوصل إلينا معلومة في غاية الأهمية وهي أن الفم هو الفصاحة الكلامية التي تتغير بتغير النساء والمواقف، فاللقاء مع الثريا اليوم، وغدًا مع هند وبعد غدٍ مع أخرى يجعله يستلهم أوصافه ليس من خلال شكل الفم فحسب بل هو من خلال اللقاء الذي يعكس الصفات بدقة، فعمر لا يحتكر المشهد ولا يكرره كثيرًا، وبناءً عليه، فقد تغيرت هذه اللغة الجمالية لديه بتغيير المرأة التي يلتقيها، مع ضرورة استحضار الموقف الذي يجمعهما معًا.

3- جمال العين والجيد

نرى الطبيعة في هذا الباب أكثر تواتراً في صور الشاعر وإن كان يقدمها بألفاظ أخرى، وهي في ذهنه تنحو منحى المثال، فيكون هذا الحيوان الهادئ الأليف مرجعاً لتقدير كثير من الصفات، ومداها جمال المرأة المعشوقة، وهي صورة تقليدية تمثل ما يتسم بالجمال وإثارة النزعة الحسية.

الجدول التوضيحي لبعض المفردات اللغوية لجمال العين والجيد موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	عنوان القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	عين رئم أكحل	من ذا يلمني إن بكيت صبابة	83	4	1
2	الغزال الأدعج	من ذا يلمني إن بكيت صبابة	84	11	2
3	أحور من غزلان	أسماء لا توفي المواعيد	101	4	1
4	أهدى لها شبه العينين والجيدا	أسماء لا توفي المواعيد	101	4	2
5	وترنو بعينيها إليّ كما رنا إلى ظبية وسط الخميلة جؤذر	أمن آل نعم	122	39	2 + 1
6	وعيني مهاه في الخميلة مطفل مكحلة تبغي مرادا لجؤذر	صريع الهوى	127	11	1
7	حسانه الجيد	وكيف أصبر عن سمعي وعن بصري؟	137	4	2
8	إذ تستبيك بجيد آدم شادن درٌ على لباته وشذور	سبت الفؤاد وأسرته	144	4	2 + 1
9	غراء من الحور	يا هند	161	11	1
10	عين آدم شادن	فاطمة سلافة خمر	173	10	1
11	عين مغزلة حوراء خالط طرفها فتر	هام الفؤاد بأم عمرو	176	14	2 + 1
12	بمقلتي رئم ترى في طرفها حورا	سؤال عن العهد والميثاق	185	9	2 + 1
13	أسيل مقلده أحورُ	عتاب وغفران	190	10	2
	أسيلاً مقلده أحورا	أمنيات في ظلام الليل	191	5	2

14	أعطاف جيد واضح النحر	وليل العاشقين قصير	196	5	2
15	عين البقر	قلبك أقسى من حجر	167	24	2
16	فبدت ترائب شادن	قريبة عداة الرحيل	209	5	1
17	وبمقلتي رئم	الفؤاد الموجع والعين الدامعة	228	10	1
18	جيد أتلع	الفؤاد الموجع والعين الدامعة	228	9	2
19	وجيد خذول بالصريمة مغزل	وحبك داء للفؤاد	242	18	1
20	طويلات أعناق	أرى بكم النوى	245	5	2
21	بأحسن مقلة منها إذا برزت ولا عنقا	ألا يا بكر	255	7	2
22	النحر والمقلتان والعنق	انطلاق الخيط	257	8	2
23	عوهج فردة	انطلاق الخيط	257	9	1
24	لها من الرئم عيناه وسنته	لها من الرئم عيناه	292	8	1
25	تدير حوراوين	جاء من نهوى	295	9	1
26	ومقلتي نعجة أدماء أسلمها أحوى المدامع	قفا نستخبر الطللا	299	7	1
27	ظبي تزينه عوارضه	لا تعجلاه	306	4	1
28	والعين زين لحظها كحله	لا تعجلاه	306	4	2
29	بعيني خذول مؤنق الجم	نؤوم الضحا	309	6	2
30	وجيدا أسيلا	هجت شوقاً	315	6	2
31	لها جيد رئم زينته الصرائم	الوجد المقيم	329	1	2
32	أهدى لها الجيد شادن	الطيف الغريم	340	6	1
33	وأهدت لها العين القتول بغوم	الطيف الغريم	340	2	6
34	عينا جؤذر	أخت بني تميم	342	5	1
35	جيد ريم	أخت بني تميم	342	5	1
36	نقي مثل جيد الغزال يعلوه نظم	طال ليلي	355	5	2 + 1
37	بمقلي يعفوره نظر الربيب الشادن الوسنان	بوح	383	7	2 + 1
38	حور العيون	لا تزال لنا هوى	392	2	2

ولا أظن أن تعدد المواقف واختلافها لذكر العين عند عمر بهذا الشكل الملحوظ من قصيدة إلى أخرى جاء اعتباطياً قصد به مجرد الذكر، بل هو بؤرة يستلهم منها تعدد الأوصاف، أنه منبع ((لا ينضب من المحبة والإقبال والإعراض والتأمل والغموض والأسرار والوضوح والإشراق، ويمتزج فيها جمال التكوين بجمال الشخصية، ووحي اللحظة)) [11]

4- **جمال الشعر:**

وهي صيغ وصور تقليدية تنحو المثل الأعلى في الجمال، وهذا التصور يمتح من منابع التصور التراثي في استخدام صيغ تراكمية وصور مكررة.

الجدول التوضيحي لبعض مفردات جمال الشعر موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	عنوان القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	مسبكر على لباتها سوداً	أسماء لا توفي المواعيد	101	6	2
2	سبته بوحف في العقاص مرجل أثيث كقنو النخلة المتكور	صريع الهوى	127	9	2 + 1
3	ولها أثيث كالكروم مذيل حسن الغدائر حالك مضفور	سبت الفؤاد وأسرته	145	10	1
4	مكرس فيه عقاصة	قريبة غداة الرحيل	209	5	2
5	سبته بوحف في العقاص كأنه عناقيد دلاها من الكرم قاطف	وحبك داء للفؤاد	242	18	2 + 1
6	وبفرع حدثته كالمثاني علَّ بالمسك، فهو مثل السديل	ليتني مت قبل الرحيل	281	9	2 + 1
7	بفاحم مكرع سود غدائره تثني على المتن فيه وارداً جثلا	قفا تستخبر الطللا	299	6	2 + 1
8	ووحف يثني في العقاص كأنه دواني قطوف، أو أنابيب عنصل	نؤوم الضحى	309	7	2 + 1
9	تضل مداريها خلال فروعها إذا أرسلتها، أو كذا غير مرسل	نؤوم الضحى	309	8	1
10	فأبدت أثيثاً حالكاً لونه	هجت شوقاً	315	6	1
11	وبوحف مائل رجلٍ كعناقيد من الكرم	أينا أحق بالظلم	367	4	2 + 1
12	وبفرع تدلى فاحم كتدلي قنو نخل المجتني	ذات الدل البهي	423	11	2

5- **جمال الجسم:**

وهو في معجمه وصيغه وصوره يعود إلى التصور التراثي، والمثل الأعلى للجمال الذي تواترت عليه الجماعة من دقة خصور، وبروز أرداف ونهود، وبدانة، وملاسة، واستدارة، وتتجمع هذه الألفاظ في عائلات لغوية تعطي المعنى المقصود أو ترادفه أو تقترب منه .

الجدول التوضيحي لبعض المفردات اللغوية لجمال الجسم موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	عنوان القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	فانظروا كل ذات بوص رداح فأجيزوا شهادة العجزاء	رد الشهادة	22	3	2 + 1
2	دعص منَ الأنقاء	رد الشهادة	23	8	1
3	بُدُن الخلق رُدَّح	العاشق اللاهي	35	7	2
4	سيفانه أوتيت في حسنٍ صورتها	النأي لا يغير المحبين	50	8	1
5	علق القلب في قريش ثقالاً ذات دل نقية الأثواب	القلب المستهام بربة المحراب	52	3	2 + 1
6	ريا الروادف	طرب الفؤاد وماله من مطرب	72	4	2
7	مخطفات الخصور معتجزات	مخطفات الخصور	78	1	2
8	إنها كالمهاة مشبعة الخلخال صفر الحشا	المهاة المشبعة الخلخال	90	7	2 + 1
9	ثقال كالمهاة خريدة من نسوة خرد	صادتني ولم أصد	110	5	2 + 1
10	ناءت به شاهقية هضيم الحشى	صريع الهوى	126	7	2 + 1
11	قطوف ألوف للحجال غريرة وثيرة ما تحت اعتقاد المؤزر	صريع الهوى	126	8	2 + 1
12	من البيض مكسال الضحى بخترية، ثقال متى تنهض إلى الشيء تفتر	صريع هوى	127	14	2 + 1
13	ممكورة الساق مقصوم خلاخلها	تكاد من ثقل الأرداف تنبتر	133	10	1

14	هيفاء، لفاء، مصقول عوارضها	تكاد من ثقل الأرداف تنبتر	133	11	1
		وقد تهيج فؤاد العاشق الذكر	138	5	1
15	تكاد من ثقل الأرداف تنبتر	تكاد من ثقل الأرداف تنبتر	133	11	2
16	سيفانة فنق جم مرافقها مثل المهاة	وكيف أصبر عن سمعي وعن بصري	137	3	1
17	ممكورة الساق غرثان موشحها	وكيف اصبر عن سمعي وعن بصري	137	4	1
18	هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة	تبدل الربع	140	5	1
19	جم العظام، لطيفة أحشاؤها	سبت الفؤاد وأسرته	144	8	1
20	إذا ما دعت بالمرط كيما تلفه على الخصر أبدت من روادفها فخرا	يقولون أقصر ولست بمقصر	145	7	2 + 1
21	غادة، خمصانة ريا الروادف	الغادة الخمصانة	147	13	1
22	محطوطة المتنين مثل السبيكة بضة	الغادة الخمصانة	147	14	1
23	طفلة وعثة الروادف، خود كمهاة	نعتوها فأحسنوا النعت	151	5	1
24	خذلة الساق مهضومة كشح	نعتوها فأحسنوا النعت	151	5	2
25	نواعم، خفرات، مثقلات	ذكرتني الديار نعما	154	11 12+	1
26	قباء إن أقبلت مبتلة والبوص منها كالقور منصفر	يا هند	161	10	1
27	وهي مثل العسلوج في الشجر	قد غمرته فأبى	163	2	2
28	رخص البنان مهفهف الخصر	وليل العاشقين قصير	165	6	1
29	جم العظام لطيفة الخصر	فاطمة سلافة خمر	172	3	2
30	مرتجة الردفين بهكنة	هام الفؤاد بأم عمرو	175	6	1
31	تكاد روادفها إذ نأت إلى حاجة موهناً تنبتر	وصف الحبيبة لا يتغير	193	14	2 + 1
32	هيف رعابيب بدن	البدن الملاح	197	6	1
33	مالت بهن الروادف	وحبك داء للفؤاد	241	8	2
34	وثيرات اعجاز دقاق خصورها	أرى بكم النوى	245	5	1
35	ثقال الروادف	أرى بكم النوى	245	5	2
36	زان ما تحت كعبها قدماها حين تمشي والكعب غير نبيل	ليتني مت قبل الرحيل	281	12	2 + 1
37	هضيم الحشا ريا العظام	أحفظي بالغيب سري	297	4	2
38	ممكورة الخلق، مما يألف الحجلا	مإذا تريدين	302	3	2
39	مضمر الحشا، عبل المدملج، مشبع خلخاله	رحيل الحبيب	306	3	2 + 1
40	ممكورة الخلق، غادة هضيم الحشا	نؤوم الضحى	310	17	2 + 1
41	رئم، هضيم الحشا	وعد بالوصل	332	2	1
42	فالنصف من غصن بانة ونصف كثيب لبدته سجوم	الطيف الغريم	340	5	2 + 1
43	قالت لآنسة رداح عندها كالرئم في عقد الكثيب الأيهم	ذو هوىً متقسِّم	345	4	1
44	نبيل عبل الروادف كالقوز من الرمل قد تلبد	طال ليلي	355	6	2 + 1
45	بدن في خذالة وبهاء	ذاك دهرٌ	400	8	1
46	دعص من الأنقاء إن هي أدبرت أو أقبلت فصعدة من المران	كدت أبوح بالكتمان	401	7	2 + 1

ونرى الصور والصيغ في عمومها مكرورة، وهي صور تأليفية تتركز على اختيار الصورة المناسبة، كما إنها صور مفردة بسيطة تقليدية ليس فيها إغراب بل تتراكم وتتكرر مهتدية بالتصور التراثي. ولكن كل بيت يعبر عن حالة معينة خاصة بالمرأة التي ذكر جسمها وقوامها وكل صورة تترجم حالة معينة عايشها مع محبوبته. ((وعندها لا يصبح قوام المرأة – في عيني الرجل – مركباً هذا التركيب العجيب ولا تصبح حركتها تلك الحركة الثقيلة النمطية لدى كل امرأة، ولا يوشك قوامها أن ينبتر كلما قامت أو قعدت أو سعت إلى جاراتها! وحينئذ يصبح لكل امرأة جميلة شخصيتها المتميزة ويكون لكل صلة بين رجل وامرأة طبيعتها الخاصة التي توحي للشاعر بصورة منفردة))[12]

6- **جمال الحركة:**

وتقوم الصيغ والصور فيها على مقارنات التشبيه والتقريب، ونجد الفعل والمصدر هما العاملان الأساسان في تكوين الحركة. وهذه الصفات مجموعة من الأوضاع التقليدية المكررة التي تؤكد سطحية التعبير، والصورة التي تعبر عن مقارنة الموصوف بمن سواه أو بهيئة ما.

الجدول التوضيحي لبعض المفردات اللغوية لجمال الحركة موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	عنوان القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	مثل غزال يهز مشيته	وحشة كراع الغميم	63	8	1
2	مثل المهاة تهادى	ذاق ذرعاً بهجرها	64	7	1
3	تتهادى في مشيها كالحباب	ذاق ذرعاً بهجرها	64	13	2
4	قطوف من الحور الجآذر	عبدة البيضاء الطفلة	68	9	1
5	وتمشي في تأودها هوينا المشي	صادتني ولم أصد	110	6	1
6	تمشي الهوينا إذا مشت، فضلاً	القلب الذي لا يزدجر	116	1	2 + 1
7	وتمشي الهوينا	يقولون أقصر ولست بمقصر	145	5	2
		قد غمزته فأبى	162	2	1
8	يتهادين كالظباء	ذكرتني الديار نعما	154	6	1
9	فمالت كغصن حركته ريح	يا ابن عمي فدتك نفسي	158	26	2 + 1
10	يمشين هونا كمشية البقر	قد غمزته فأبى	163	5	2
11	قطوف الخطى	اقصروا اللوم	165	5	2
12	وتنوفتصرعها عجيزتها ممشى الضعيف يؤوده البهر	هام الفؤاد بأم عمرو	175	12	2 + 1
13	وكأن سميطها على رشإٍ مرتادة الغيطان والخمر	هام الفؤاد بأم عمرو	176	15	2 + 1
14	تميل عليَّ إذا سقتها كما انهال مرتكم أعفر	عتاب وغفران	191	20	2 + 1
15	ومشي قطوف	أخاف العُداة	244	4	2
16	وأقبلن يمشين الهوينا	أشر يا ابن عمي	279	5	1
17	كأنه دواني قطوف	نؤوم الضحى	309	7	2
18	كمثل الأراخ يطأن الوحل	مفاجأة	314	5	2

19	قامت قطوف المشي مكسالة	القلب ساعة الرحيل	318	2	2
20	فجاءت تهادى كالمهاة	خير اللقاء	378	17	1
21	ومشت كمشي الشارب النشوان	البوح	383	6	2
22	يمشي يميد كمشية النشوان	كدت أبوح بالكتمان	401	6	2

7- **جمال الهيئة والصفات:**

ونعني بذلك هيئة المرأة، وصفاتها العامة، كالسن، والشكل العام، والتصرفات، وأثر النعمة، والدلال، فقد نشأ عمر في ظل النعمة، وعاش على الوسامة والفراغ، ومن حوله الجواري والمغنيات يهيئن له أسباب الراحة والنعيم، ويساعدنه على اللهو والعبث، وقد ساعده على ذلك جماله[13].

الجدول التوضيحي لبعض مفردات جمال الهيئة والصفات موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	اسم القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	خود خريدة قباء	رد الشهادة	22	7	2
2	قاطنات دور البلاط كرام	رد الشهادة	23	12	1
3	حرة قد زينت بالحلي	الدخول في غير ميعاد	25	2	1
4	بيضاء مثل الشمس	الدخول في غير ميعاد	26	10	1
5	ثني كف حديثةٍ بخضاب	العاشق اللاهي	35	8	2 + 1
6	رؤد الشباب	حي الرباب	36	10	1
7	غريرة شغب	زينب والقلب الذي لا ينسى	39	1	2
8	كسلى القيام لعوب	الفؤاد المراقب	42	4	2
9	لعوب كأنها مهاة	المهاة الشاردة في الليل	49	5	1
10	سيفانة	النأي لا يغير المحبين	50	8	1
11	ذات دل رقيقة	القلب المستهام بربة المحراب	52	3	2
12	غراء، حوراء	موعدها لقاء الأخشب	56	7	2
13	مخطف الكشحين، ذي دل عجيب	خلطت حسناً بطيب	59	4	2 + 1
14	صياد القلوب	خلطت حسناً بطيب	59	5	2
15	أحسن الناس لعوب	خلطت حسناً بطيب	59	11	2
17	مكنونة في أديم	ذاق ذرعاً بهجرها	64	8	2 + 1
18	مجاجة المسك	ذاق ذرعاً بهجرها	64	15	1
19	ذات خلق خرعب	طرب الفؤاد وماله من مطرب	72	4	2
20	طفلة غيداء	من ترمه لا ينج من رميتها	78	4	2
21	غنوج	نأت فجنّ بذكرها القلب	81	1	1
22	طفلة باردة القيظ	ليت هنداً	102	9	1
23	سخنة المشتى	ليت هنداً	102	10	1

24	خود، بضة	دع ذا	115	2	2
25	قطوف، ألوف للحجال	صريع هوى	126	8	1
26	مكسال الضحى	صريع هوى	127	14	1
		اللهم عذبني	387	1	1
27	خود تضيء ظلام الليل	تكاد من ثقل الأرداف تنبتر	132	9	1
28	فاترة كشارب الخمر	قل للمليحة	136	23	2
29	مفتانة الدل	وكيف أصبر عن سمعي وعن بصري	137	2	2
30	سيفانة فنق جم مرافقها	وكيف أصبر عن سمعي وعن بصري	137	3	2
31	خود مهفهفة	واهاً لعفراء	142	4	1
32	بهكنة خرعبة لا عيب في خلقها طول ولا قصر	واهاً لعفراء	143	9	1
33	كعاب، طفلة	يقولون أقصر ولست بمقصر	145	5	1
34	ذات دل خريدة معطار	نعتوها فأحسنوا النعت	151	4	1+2
35	طفلة وعثة الروادف خود	نعتوها فأحسنوا النعت	151	5	1
36	حرة الخد، خذلة الساق مهضومة كشح	نعتوها فأحسنوا النعت	151	6	1+2
37	خود خريدة معطار	ذكرتني الديار نعما	153	9	2
38	نواعم خفرات	ذكرتني الديار نعما	153	16	1
39	كأنها من شعاعها القمر	ياهند	161	16	2
40	خريدة معطارا	وسلبته لب الفؤاد جهارا	162	3	2
41	وترى لها دلاً إذا نطقت	من أجلها حبست ركائبنا	171	5	1
42	فيهن خود لست ناسيها	لو كان يأتينا مجاهرة	174	16	1
43	بهكنة رؤد الشباب كأنها قصر	هام الفؤاد بأم عمر	175	5	1
44	رخصة ناعمة	ضربوا حمر القباب لها	177	5	1
45	ودعت حوراء آنسة حرة من شأنها الخفر	ضربوا حمر القباب لها	178	21	1+2
46	مهاة كاعب كأنما هي قمر	ذكريات لن تعود	188	10	1+2
47	خود يفوح المسك من أردانها والعنبر	ذكريات لن تعود	189	12	1
48	حرة لذيذ مقبلها	عتاب وغفران	190	17	1
49	غلواء الشباب تنبت في ناضر مسبكر	وصف الحبيبة لا يتغير	193	10	1
50	رؤد في الشباب غريرة غراء، خود كالغزال الأخرق	ذكريات الزمن الماضي	253	4	1+2
51	غصناً ناعم النبت مورقا	قلب وغزال	262	4	2
52	خدلجة	زينب الخدلَّجة	263	3	1
53	خود لعوب غادة	فجعتنا أم بشر	289	7	1
54	به شادن خود	جاء من نهوى	295	9	2
55	قليلة ازعاج الحديث يروعها تعالي الضحى	نؤوم الضحى	310	16	1

56	غنوج	نؤوم الضحى	311	28	2
57	كرام	لو أني مرضت	317	3	2
58	معاصم لم تضرب على البهم بالضحى عصاها ووجه لم تلحه السمائم	الوجد المقيم	329	9	2 + 1
59	نضير ترى فيه أساريع مائه صبيحٌ، تغاديه الأكف النواعم	الوجد المقيم	330	10	1+2
61	حرة جمعت منطقاً وعقلاً وجسما	حبها كان غرما	352	3	1
62	حرة الوجه والشمائل والجوهر	طال ليلي	355	3	1
63	خدلجة، خريداً، منعمة لها دل رخيم	الحب المقيم	366	8	2 + 1
64	أخت رئم، ذات دل	إن أنت لم تعشق	375	3	2
65	غنوج	الوجد المؤرق	389	2	1

لا شك أن هذه الألفاظ والتراكيب التي ذكرها عمر؛ ليؤكد على جمال الهيئة والصفات الخاصة، وضحت لنا من هي المرأة التي لفتت نظر عمر؟ ومن التي دخل معها في مغامرات على الرغم من خطورة المواقف التي وقع فيها؟ ومرة أخرى تطلّ علينا ظاهرة الترف والدلال والتيه والجمال، وكأنما هذا الفن قد خلق له دون سواه ((الثابت على كل حال أنه هو الذي وهب هذا الفن حياة قوية، لأنه كان الفن الوحيد الذي يناسب طبيعته)) [14]

8- المعادن والطيب والثياب والحلي:

اكتفى عمر بقيمتها الجمالية متمثلة في المرأة المنعمة المترفة التي تدل على طبقتها وبيئتها الحضارية. التي تتناسب مع بيئته ((وعندما شب مضى في حياته الناعمة المترفة، وظل يتطيب بالطيب، ويتحلى بالحلي، ويتفرغ للهو.)) [15] وهذا الذكر جاء ليؤكد ثقافة العصر وأثرها على شعره، فالحياة المنعمة التي عاشها عمر عكست أثرها الواضح على استخداماته للحلي والطيب وسواها، فلم يلتفت عمر إلى المرآة العادية إطلاقاً. ((إنه أصدق مثال للعصر والبئية اللذين كان يعيش فيهما)) [16]

الجدول التوضيحي لبعض المفردات اللغوية للمعادن والطيب والثياب والحلي موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	اسم القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	زينت بالحلي	الدخول في غير ميعاد	25	2	1+2
2	يسحبن أذيال المروط	التجمير وليالي الحج	26	3	1
3	كأن الربع أُلبس عبقرياً	نعم والعاشق الفخور	29	4	1+2
4	مبطن بكساء القز	بطحاء شرف	45	2	1
5	موّهن بالذهب	مقام شنوع	62	2	2 + 1
6	يرفلن في مطرفات السوس آونة وفي العتيق من الديباج والقصب	مقام شنوع	62	3	2 + 1
7	ترى عليهن حلى الدر متسقاً مع الزبرجد والياقوت كالشهب	مقام شنوع	62	4	1+2
8	يرفلن في الريط والمروط من الخز يسحبنها على الكثب	وحشة كراع الغميم	63	4	1+2
9	مثل غزال عليه قلائد الذهب	وحشة كراع الغميم	63	8	1+2

10	حسن لون يرفُّ كالزِّرياب	ذاق ذرعاً بهجرها	64	11	2
11	قلدوها من القرنفل والدر سخاباً واهاً له من سخاب	ذاق ذرعاً بهجرها	64	15	1
12	وعليه الخز والقز ووشي الحبرات	الظبي المقبل من عرفات	77	3	2
13	در حليها ووشاحها بريمها وسوارها والدملج	من ذا يلمني إن بكيت صبابة	83	5	2 + 1
14	طيبة النشر	المهاة المشبعة الخلخال	90	8	1+2
15	استقبلت ورق الريحان تقطفه وعنبر الهند والوردية الجددا	ألست تعرفني؟	111	1	2
16	وحسن الزبرجد في نظمه، على واضح الليت زان العقودا	العقد المنظوم	113	1	1+2
17	يفصل ياقوته درة وكالجمر أبصرت فيه الفريدا	العقد المنظوم	113	1	1+2
18	يمجُّ ذكي المسك منها مقبل	أمن آل نعم	122	37	1
19	وعنبر الهند والكافور خالطه قرنفل	قل للمليحة	136	19	2 + 1
20	يسحبن خلفي ذيول الخز آونة	قل للمليحة	136	23	1
21	من طيب نشر التي تامتك إذ طرقت ونفحة المسك والكافور	تبدل الربع	141	16	2
22	والعنبر الأكلف المسحوق خالطه والزنجبيل ورندُ هاجه السحر	واهاً لعفراء	142	8	2 + 1
23	در على لباته وشذور	سبت الفؤاد وأسرته	144	4	2
24	فسقتك بشرةُ عنبراً وقرنفلا، والزنجبيل وخلطُ ذاك عقارا	الغادة الخمصانة	147	16	2
25	وتضوَّع المسك الذكيُّ وعنبرٌ قد شابه كافور	لا تأمنن الدهر أنثى	149	14	1+2
26	الزعفران على ترائبها شرق من اللبات والنحر	كل عضو جوهرة	160	5	2 + 1
27	وزبرجد ومن الجمان به سلس النظام كأنه جمرا	كل عضو جوهرة	160	6	2 + 1
28	وبدائد المرجان في قرن والدر والياقوت والشذر	كل عضو جوهرة	160	7	1
29	يمشين في الخز والمراحل	يا هند	162	17	1
30	شرقاً بذوب الشهد يخلطه بالزنجبيل وفأرة التجر	فاطمة ... سلافة خمر	172	5	2 + 1
31	في حجال الخز مستتر	ضربوا حمر القباب لها	178	16	2
32	عليه سخابٌ فيه درٌّ وعنبر	المحب اللامبالي	183	9	2
33	يفوح القرنفل من جيبها وريح اليلنجوج والعنبر	عتاب وغفران	191	21	1+2
34	وقمن يعفين آثارنا بأكسية الخز أن تقفرا	أمنيات في ظلام الليل	192	12	2 + 1
35	ذيول ثياب يمنة ومطارف	وحبك داء للفؤاد	242	16	2
36	الفة للحجال واضحة بالعنبر الورد جلدها عبق	انطلاق الخيط	257	7	1+2
37	غزالاً تحلى عقد در ويارقا	قلب وغزال	261	3	2
38	ليس طعم الكافور والمسك شيبا، ثم بالراح عُلاَّ والزنجبيل	ليتني مت قبل الرحيل	281	6	2 + 1
39	فمجَّت المسك بحتاً ليس يخلطه، إلا سحيقٌ من الكافور	لها من الرئم عيناه	292	3	1+2
40	والزنجبيل مع التفاح ... قد خالط العسلا	لها من الرئم عيناه	292	4	1+2
41	والعنبر الأكلف المسحوق خالطه والزنجبيل وراح الشأم والعسلا	قفا نستخبر الطللا	300	10	2 + 1
42	نضح العبير بها	مإذا ترين؟	302	3	1

43	يغدو عليه الخز يسحبه	لا تعجلاه	307	11	1
44	كأن سحيق المسك خالط طعمه وريح الخزامى في جديد القرنفل	نؤوم الضحى	309	12	1+2
45	فائق الدِّرحلية	تبوعٌ للهوى	331	14	1
46	عبق الثياب من العبير، مبَتَّل	كدت أبوح بالكتمان	401	6	1
47	خالص الدر وياقوت بهي	ذات الدل البهي	423	13	2

إذن، هو يتلبث بدقة أمام صفات الجمال والشمائل وإطراء النعمة والترف، يوحي من خلال الهيئة والملبس والسلوك وأدوات الزينة وغيرها. فهو "يتفاعل مع الجمال الخارجي، وقليل التفاعل والجمال الذي يتحد بالطبيعه الداخلية فهو يتلهى بالأحاديث والذكريات أكثر مما يعبر عن مشاعر النفس الباطنية"[17].

9- المعاني الخلقية:

وهو ينظر هنا إلى ما كان من قبيل القيمة التي يحمدها العربي البدوي، ومن حيث قيمتها في ذاتها وكأنه لا يريد فراق الحس القومي، وما يحمده هذا الحس في جمال المرأة ونظرة العرف والعادة لها.

الجدول التوضيحي لبعض مفردات المعاني الخلقية موثقاً من الديوان

الرقم	العبارات	اسم القصيدة	الصفحة	البيت	الشطر
1	خفراً	الله يعلم غائب القلب	32	1	2
2	آنسات عقائل كالظباء الربائب	الجيب المجانب	37	6	2 + 1
3	خفرات حافظات عند الهوى الأحسابا	طيبات الأردان	48	7	2 + 1
4	أوتيت...عقلاً وخلقاً نبيلاً كاملاً عجباً	النأي لا يغير المحبين	50	8	2
5	علق القلب من قريش ثقالاً ذات دل نقية الأثواب	القلب المستهام بربة المحراب	52	3	2 + 1
6	ربة للنساء في بيت ملك جدها حلَّ ذروة الأحساب	القلب المستهام بربة المحراب	52	4	2 + 1
7	ماجد الخيم طاهر الأثواب	القلب المستهام بربة المحراب	52	10	2
8	زهرة أهل العفاف والحسب	وحشة كراع الغميم	63	3	2
9	هي والله...صادقا..ً	دع اللوم وكلني لما بي	65	7	2 + 1
10	أكرم الأحياء طرا علينا	دع اللوم وكلني لما بي	65	8	1
11	يهتز للمجد ماجد الحسب	يا هند لا تبخلي	66	6	2
12	إنها عفة عن الخلق الواضع والطعمة التي هي عار	نعتوها فأحسنوا النعت	152	10	2 + 1
13	حسب أغرُّ إذ تريد فخاراً	الغادة الخمصانة	147	9	2
14	فإذا ثلاث بينهن عقيلة	زينب والشمس الطالعة	227	8	1
15	إذا بدت بين نسوة جازئات عقائل	الحبيب المزايل	282	8	2 + 1
16	وبنو الحارث بن ذهل تبني، في ذرى المجد، فرعها، فاستطالا	أيها العاذل أقلَّ عتابي	305	20	2 + 1
17	مقاويل بالمعروف خرس عن الخنى	نؤوم الضحى	313	49	1
18	عقائل لم يعشن بعيش ولكن بالغضارة والنعيم	أخت بني تميم	342	7	2 + 1

19	وبها ظني عفاف وكرم	برٌّ ومتهم	358	10	2
20	أميناً ما يخون له صديقاً إذا ولىَّ له خلق كريم	الحب المقيم	365	6	2 + 1
21	ونفيسة في أهلها مرجوة	سلام على الكرام	374	4	1
22	كدرة الصدف الكنين	لا تزال لنا هوى	392	4	2
23	في المنصب العالي وبيت المجد في حسب ودين	لا تزال لنا هوى	392	5	2 + 1

وعلى الرغم من تيه عمر ودلاله وترفه وجماله، إلا أنه يؤكد على حسن المعاشرة، والكرم، وحلاوة الحديث، وكأنه يعدها من مكملات الرقي والحضارة ((ولقد ساعد عمر على ذلك فراغ وجمال ومال، ثم إنه كان لباساً، حسن الهندام، رضي الخلق، سهل المعاشرة، جواداً، عذب الحديث، بصيراً بخطاب النساء.)) [18]

إذن، هذه هي لغة التشكيل الجمالي عند عمر، وهذه هي مقومات الغزل لديه، وهذا هو النهج العمري الذي أبرز لديه منهجاً خاصاً عرف به دون سواه.

"ولعل في هذا ما يدل دلالة واضحة على أن المرأة التي نجدها في غزل عمر كانت من ذوق آخر غير الذوق الجأهلي، ذوق متحضر، وأظن أن ذلك ما جعل الرواة يكثرون من القصص عنها في غير احتياط، فقد وجدوا صورتها في ديوان عمر تختلف عن صورة أمها وجدتها في الشعر القديم"[19].

نموذج الجمال في شعر عمر

يشتمل ديوان عمر بن أبي ربيعة على ما يقرب من (4450) بيتاً، قيل مجملها في الغزل، سواء أكان ذلك بذكر نساء بأسمائهن أم بإغفال أسماء بعضهن، ويرد ذكر اسم نيف وأربعين امرأة يتراوح عدد مرات ذكرهن بين مرة واحدة إلى سبع وخمسين مرة. ونورد هنا نماذج من بعض أسماء النساء اللائي ذكرهن في الديوان؛ لنتعرف من خلال هذا الذكر، إلى طبيعة الغزل لديه.

وهؤلاء النسوة هن: هند، ونعم، وزينب، والرباب، والثريا، وأسماء، يرد اسم كل منهن مؤسساً لجو القصيدة أو المقطوعة، إذ إن ورود الذكر لديهن جاء أكثر تواتراً من الأخريات على نحو ماسوف نبينه في التفصيل الآتي:

أولاً – هند

ومما قال في هند:

لَيْتَ هِنْداً أَنْجَزَتْنا ما تَعِدْ
وَشَفَتْ أَنْفُسَنا مِمّا تَجِدْ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً
إنَّما العاجِزُ مَنْ لا يَسْتَبِدْ
زَعَمُوها سَأَلَتْ جَارَاتِها
وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدْ
أَكَما يَنْعَتُني تُبْصِرْنَني
عُمَرَكُنَّ اللهَ أَمْ لا يَقْتَصِد
فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا
حَسَنٌ في كُلّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدْ
حَسَداً حُمِّلْنَهُ مِنْ شَأْنِها
وَقَدِيماً كانَ في النَّاسِ الحَسَدْ
غَادَةٌ تَفْتَرُّ عَنْ أَشْنَبِها
حِينَ تَجْلُوهُ أَقَاحٍ أَوْ بَرَدْ
وَلَها عَيْنَانِ في طَرْفَيْهِما
حَوَرٌ مِنْها وَفِي الْجِيد غَيَدْ

طَفْلَـةٌ بَـارِدَةُ القَيْـظِ إذا
مَعْمَعانُ الصَّيْفِ أَضْحَى يَتَّقِدْ
سُخْنَةُ المَشْتى لِحافٌ لِلْفَتَى
تَحْتَ لَيْلٍ حينَ يَغْشَاهُ الصَّرَدْ
وَلَقَدْ أَذْكُرُ إذْ قِيـلَ لَهَـا
وَدُموعي فَوْقَ خَدّي تَطَّرَدْ
قُلْتُ مَنْ أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا مَنْ
شَفَّهُ الْوَجْدُ وَأَبْلاَهُ الكَمَـدْ
نَحْنُ أَهْلُ الْخَيْفِ مِنْ أَهْلِ مِنىّ
مَـا لِمَقْتولٍ قَتَلْنَـاهُ قَـوَدْ
قُلْتُ أَهْـلاً أَنْـتُمُ بِغْيَتُنَا
فَتَسَمَّيْنَ فَقَالَتْ أَنَـا هِنْـدْ
إنَّمـا ضُلَّلَ قَلْبِي فاجْتَـوَى
صَعْدَةً فـي سابِرِيّ تَطَّـرِدْ [20]

ومن خلال توجهنا لرصد العلاقة بين عمر وبين هند نستعرض الجدول التوضيحي الآتي الذي يبين عدد القصائد التي خصصها عمر لذكر هند:

الرقم	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد الأبيات
1	جفاء هند	40	5
2	طالب العذر والغفران	42	6
3	هند تطيع به الوشاة	60	7
4	يا هند لا تبخلي	65	6
5	إلى ربة البغلة الشهباء	82	8
6	ارحمي مغرماً بحبك	98	8
7	ليت هنداً	101	18
8	والله والبيت العتيق	105	7
9	يا رب	110	6
10	قل لهند	113	5
11	عفت عرفات	114	2
12	أحلى السواك لهند	116	1
13	قل للمليحة	134	23
14	تبدّل الرّبع	140	21
15	سبت الفؤاد وأسرته	144	14
16	أنا لا أحب حفيرا	155	16
17	يا هند!	160	18
18	وسلبته لبّ الفؤاد جهارا	162	11
19	قلبك أقسى من حجر	166	26
20	القلب المقروح	176	5
21	مرارة الرحيل	187	8
22	حذار العدا	200	4

23	أفق	203	1
24	القلب المهيض	210	10
25	وحق له في اليوم أن يتمتعا	216	23
26	مغامرة بقرن المقطع	223	10
27	يا قلب أخبرني	224	9
28	رسول العاشقين	229	18
29	الواشي بهند	331	4
30	حديث العاذلين	232	5
31	ارجعا بي	236	1
32	وحبك داء الفؤاد	242	37
33	حبل المودة لا يخلق	252	8
34	يا ويح قلبي	254	4
35	ألا يا بكر	254	12
36	أقاويل الوشاة	260	9
37	دموع هند	262	7
38	عتاب وخضوع	267	10
39	وحال دهر دونها	274	11
40	لما عرفت الدار	276	10
41	ما من لقاء بيننا	286	5
42	هجت شوقاً	314	7
43	لك الود خالصاً	316	8
44	أنت منيتي	326	19
45	الوجد المقيم	329	16
46	تبوعٌ للهوى	330	14
47	وعدٌ بالوصل	332	8
48	أيعود عشقنا!	342	19
49	ليلة الخيف	375	6
50	بوح	382	14
51	بخيلة	384	7
52	وعصاني لساني	385	6
53	قبحت طينة لساني	385	6
54	البين فاجعنا	413	10
55	ساقتني المنى	420	8
	مجموع الأبيات		531

يصل عدد الأبيات التي ذكرت فيها ما يقرب من (531) بيتاً. وغالبا ما تكون هذه القصائد أو المقطوعات قصيرة النفس.

وإذا أخذنا بتوزيع هذه الأبيات على رصيد العلاقة بينه وبين هند، مثلاً، نجدها تتمركز حول بعض المحاور المكررة، بل إنها تتجمع في أكثر قصائده ومقطوعاته؛ مما يعني صعوبة ترتيبها من خلال تطور العلاقة بينه وبين هند، فلا تتخذ هذه المحاور طابعاً تصاعدياً في رصيد العلاقة، وإنما لها طبيعة عرضية إذ يجتمع في القصيدة عنده أكثر من محور، بل تجتمع كلها؛ فهي تتخذ طبيعة التشبيب والغزل الذي يلح فيه صاحبه برصد الحالات والمواقف، وليست هي طبيعة الحب والعشق الذي يرصد العلاقة في طبيعتها التصاعدية الرأسية التي تعني بتطور تلك العلاقة من خلال أبعادها النفسية، فلا تكاد تكمل الديوان أو مجموعة من القصائد حتى تكتمل لديك علاقة توحي إليك بمعالمها النفسية، وعلاقتها التطورية، وإنما هي عند عمر حيل غزلية يثير بها اهتمام المرأة وغيرتها، ويتلمس طرق القرب من المرأة، وإغراءها بالإقبال عليها، فنجده مثلاً يشكو الشوق والصبابة والذكرى، ويتوخى المرأة بالثناء عليها، وتدليلها وإلقاء تبعات البعد على الوشاة الذين ما ينفكون يسعون بالفرقة بينهما، ويلين أحيانا فتكون المرأة عنده مطلوبة من واقع شعور الرجل أمام المرأة، يصفها متمنعة بخيلة، وأحيانا يسلك معها طريق المساواة والمماثلة، ويتحسس شخصية المرأة وأبعاد شعورها في أنها تتمنع في الظاهر، ولكنها تتمنى الوصال واللقاء في قرارة نفسها، فهو لا يعاني شوقه وذكراه كثيرا بل لا يلبث يجد بغيته، فتظهر له متمنية لقاءه، معترفة بحبها. فالمحاور كلها تتحدد في إثارة الاهتمام والمناوشة بالأحاديث الغزلية، وتحريك الغيرة. ولا ينسى عمر في توجهاته بجمهور المتلقين من الحجازيين أن يثير لديهم لغو الفضول بما يذكره من ملاطفة المرأة ومداعبتها، مرة باللثم والتقبيل، وأخرى بتحسس بعض معالم جسمها، كما تتدخل عناصر محددة في إضفاء جو المتعة والتشويق في قصيدة عمر الغزلية، ومن ذلك مثلا الأتراب اللائي يسعين إلى التقريب منه، وتشجيع المحبين على اللقاء، وابتكار حيل اللقاء والتستر، والوشاة الذين يسعون في إفساد العلاقة، مما يفتح المجال للمعاتبة والمطارحة بين الاثنين، ومنهم الرسل من الجنسين من الموالى والأشراف. ويرصد عمر طبيعة اللقاء وحيل الاتصال بينه وبين هند، وكان العصر قد شغل بتلك الأحاديث الغزلية، وشيوع مظاهر اللهو والمتعة، حتى أصبح الشريف يجد متمناه في أن يقرب بين حبيبين، ويسعى إلى الوصال بينهما. ولعل هذا المسلك إنما يوضح مدى تغلغل الحياة اللاهية والفراغ الذي كان يعيشه جزء كبير من المجتمع الحجازي في تلك المرحلة، ((وما من شك في إن مثل هذا الترف الذي كان يعيش فيه طبقة من سادة الحجاز سيترك أثره في حياة عمر.)) 21، فكانت المرأة والمتعة حديث النفس والأشعار. "إنهم يحاكون صورة المرأة المثالية حسبما ترسخت في الذاكرة العربية وتوضعت في صميم البنى الثقافية عبر مراحل تاريخية طويلة، واحتلت مقاماً رفيعاً في وجدان الفرد العربي، وأضحت من ثم جزءاً من إرادته وبعضاً من تطلعاته."[22]

وتتحدد طبيعة المكان والزمان في شعر عمر غالباً. فالزمان هو الموسم، والمكان هو طبيعة تعدد أمكنة الموسم، ولعل هذا أجدى فيما يشتهيه عمر

من حب الرؤية، ومزاج التحدث، واللقاء، وإن كان صدق الرواية الواقعية فيما تذهب إليه بعد ذلك من مغامرات وممارسات إنما يكون أقرب إلى ابتكار الخيال؛ فهو – كما قيل – يحوم ولا يرد، ويغامرولا يمارس إلا في شعره.

"وتلك طبيعة الحب العمري الذي يحقق الشاعر فيه هذا اللقاء،ويؤثر هذه الخلوة، ويتخذ السبيل إليها."[23]

إذن، تلك هي المحاور الغزلية التي تستغرق شعر عمر، شوقاً وصبابةً، وذكرى، وإثارةً، واهتماماً بالمرأة، ومناوشتها بالأحاديث الغزلية، وتحريك غيرتها، أو الثناء بإبداء صفات الجمال والشمائل، والمراسلة والمعاتبة، والمغامرة في الوصول إليها، وإبداء الدل، والتمنع، ويدخل نفسه عنصراً في هذا الدلال والتمنع من واقع شعور المساواة والمماثلة.

وحين تصدق بعض الروايات الواقعية من هذا الجانب الذي يذكره عمر ولاسيما تلك الممارسات، فإن أكثرها لا يمكن أن يصح أو يقع على التحقيق. وهناك روايات كثيرة تؤكد عدم وقوع ما يذكره عمر في شعره، غير أن ابتكار المواقف الغزلية هو المؤكد في هذا الجانب، من واقع الظرف الذي تخضع له الحياة الحجازية في تلك الفترة.

فهو شعر الظرفاء، والقصاصين، وتزجيه الفراغ، إلا إذا أخذنا أن تزجية الفراغ والظرف في حد ذاته يحدد موقف عمر من الحياة الجادة ومن الابتعاد عن ذلك.

ثانياً - نعم

يصل عدد أبيات القصائد التي ذكرت فيها إلى ما يقرب من ثلاثمائة وثمانية أبيات ما بين قصيدة ومقطوعة ونتفة، وبعض الأبيات الأيتام، والقصائد كلها قصيرة النفس، سوى قصيدة واحدة وهي رائيته الطويلة التي يبلغ عدد أبياتها ثلاثة وسبعين بيتاً والتي منها:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غادٍ فَمُبْكِرُ
غَـدَاةَ غَـدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّـرُ

بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهـا
فَتُبْلِغَ عُذْراً وَالْمَقَـالَـةُ تُعْذِرُ

تَهِيمُ إلى نُعْمٍ فَلاَ الشَّمْلُ جَامِعٌ
وَلاَ الْحَبْلُ مَوْصُوْلٌ وَلاَ الْقَلْبُ مُقْصِرُ

وَلا قُرْبُ نُعْمٍ إِنْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ
وَلاَ نَأْيُهَـا يُسْلِي وَلاَ أَنْتَ تَصْبِرُ

وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دونِ نُعْمٍ وَمِثْلُهَـا
نَهَى ذا النُّهَى لَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُفَكِّرُ

إذا زُرْتُ نُعْمـاً لَمْ يَزَلْ ذو قَرَابَةٍ
لَهَـا كُلَّمـا لاَقَيْتُهَا يَتَنَمَّـرُ

عَـزِيزٌ عَلَيَّـهِ أَنْ أَلِـمَّ بِبَيْتِهَـا
يُسِرُّ لِيَ الشَحْنَاءَ وَالبَغض مظهر

أَلِكْنِي إِلَيْهـا بالسَّـلامِ فإنَّـه
يُشَهَّرُ إِلْمامي بهـا وَيُنَكَّـرُ

بِايةِ مـا قَالَتْ غَداةَ لَقَيْتُهـا
بِمَدْفَعِ أَكْنَـانٍ أَهـذا الْمُشَهَّرُ

قِفِي فَانْظُرِي أَسْمَاءُ هَلْ تَعْرِفِينَـهُ
أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذْكَرُ

أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتاً فَلَمْ أَكُنْ
وَعَيْشِكِ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمِ أُقْبَرُ

فَقَالَتْ نَعَمْ لا شَكَّ غَيَّرَ لَونَـه
سُرَى اللَّيْلِ يُحْيِي نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ

لَئِنْ كَانَ إيّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنا
عَنِ الْعَهْدِ وَالإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
رَأَتْ رَجُلاً أَمّا إذا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
فَيَضْحَى وَأَمَّا بالْعَشِيِّ فَيَحْضَرُ
أَخَا سَفَرٍ جَوّابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ
بِهِ فَلَواتٌ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
قَلِيلٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّه
سِوَى ما نَفَى عَنْهُ الرِّداءُ الْمُحَبَّر
وَأَعْجَبَها مِنْ عَيْشِها ظلُّ غُرْفَة
وَرَيّانُ مُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَر[24]

ومن خلال توجهنا لرصد العلاقة بين عمر وبين نعم نستعرض الجدول التوضيحي الآتي الذي يبين عدد القصائد التي خصصها عمر لذكر نعم:

الرقم	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد الأبيات
1	نعم والعاشق الفخور	29	29
2	موعد في البطحاء	61	10
3	طال ليلي	96	6
4	أمن آل نعم	119	73
5	لا تأمنن الدهر أنثى	149	21
6	ذكرتني الديار نعما	153	17
7	من أجل ذات الخال	221	8
8	انطلاق الخليط	256	14
9	لا تعجلاه	306	17
10	تهوانا ونهواها	318	6
11	خادع موقى	337	11
12	طال ليلي	354	11
13	إقرار بالذنب	362	15
14	أينا أحق بالظلم؟	366	9
15	أنت طوائف الحلم	367	11
16	لائمة كتوم	368	6
17	القلب الرهين	402	8
18	آثر الناس	408	10
	مجموع الأبيات		308

ثالثاً زينب

وقد اختلطت الأخبار حول زينب في ديوان عمر هل هي زينب الجمحية أم سواها؟

((وهي زينب الجُمحيّة، ولم تكن من أهل مكة، وإنما كانت من أهل المدينة، حجت مع أخيها قدامة، فأعجب بها عمر، ولم تلبث أن انعقدت بينهما أسباب الود، ونظن ظناً أنها هي الجمحية التي تزوج بها))[25]، ويصل عدد الأبيات القصائد أو المقطوعات التي ذكرها عمر فيها ما يقرب من مائة وأربعة وتسعين بيتاً.

وترد زينب في قصائد قصيرة النفس لا يزيد أكبرها على أربعة وعشرين بيتا ومما قاله في زينب:

أَمِنْ آلِ زَيْنَب جُدَّ البُكُورُ
نَعَمْ فَلأَيِّ هَوَاهـا تَصِيرُ
أَلِلْغَورِ أَمْ أَنجَدَتْ دَارُهـا
وكانتْ قَديماً بِعَهْدي تَغور
هِيَ الشَّمْسُ تَسْري عَلَى بَغْلة
وما خِلتُ شَمْساً بِلَيْلٍ تَسِيرُ
وَمَا أَنْسَ لا أَنْسَ مِنْ قَولِها
غَدَاةَ مِنًى اذْ أُجِد المَسِيرُ
أَلَمْ تَرَ أَنّكَ مُستَشهَدٌ
وَأَنَّ عَدوَّكَ حَوْلي كثيرُ
فَإِنْ جِئْتَ فَأْتِ عَلَى بَغْلَة
فَلَيْسَ يُؤاتي الخفَاءَ الْبَعِيرُ
فَإِنَّكَ عِنْدِيَ فيما اشْتَهَيْتَ
حَتَّى تُفَارِقَ رَحْلي أَميرُ
نَظَرْتُ بِخَيْفِ مِنًي نَظْرَةً
إليها فَكَادَ فُؤادي يَطِير[26]

ومن خلال توجهنا لرصد العلاقة بين عمر وبين زينب نستعرض الجدول التوضيحي الآتي الذي يبين عدد القصائد التي خصصها عمر لذكر زينب:

الرقم	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد الأبيات
1	هموم زينب	28	8
2	زينب والقلب الذي لا ينسى	39	5
3	الناصح الواشي	45	14
4	الداء الداخل في الضلوع	57	11
5	ألم بزينب	109	9
6	عشقتها بخيف منى	150	8
7	سؤال عن العهد والميثاق	185	20
8	خبرة النساء	156	9
9	عتاب وغفران	189	24
10	خذي حذرك	202	6
11	كلانا الثوب الأسود	206	7
12	شتان ما بين الموقفين	214	7

13	عشقتها بخيف مني	150	8
14	زينب الشمس الطالعة	226	11
15	زينب الخدلجه	263	6
16	بعثت وليدتي	272	6
17	زينب إن قالت	283	17
18	أرسلت في السر	379	5
19	القلب المعَّنى	397	10
20	ليس من صبر	401	8
	مجموع الأبيات		199

رابعاً - الرباب

يصل عدد أبيات القصائد أو المقطوعات إلى ما يقرب من مائة وستة وأربعين بيتاً ولا يزيد أكبرها على ستة عشر بيتا، وترد بعض الأسماء لنساء أخريات معها.

ومما قال في الرباب:

ما عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيَّيْنِ لَوْ بَيَّن
رَجْعَ التَّسْلِيمِ أَوْ لَوْ أَجابا
فَإِلَى قَصْرِ ذي الْعُشَيْرَةِ فَالصّا
لف أَمْسَى مِنَ الأَنِيسِ يَبابا
موحِشاً بَعْدَما أَراهُ أَنيساً
مِنْ أُناسٍ يَبْنونَ فيهِ الْقِبابا
أَصْبَحَ الرَّبْعُ قَدْ تَغَيَّرَ مِنْهُمْ
وَأَجالَتْ بِهِ الرِّياحُ التُّرابا
فَتَعَفَّى مِنَ الرَّبابِ فَأَمْسَى الْقَلْبُ
فِي إِثْرِهَا عَميداً مُصابا
وَبِمَا قَدْ أَرَى بِهِ حَيَّ صِدْقٍ
كَامِلَ الْعَيْشِ نِعْمَةً وَشَبابا
وَحِساناً جَوَارِياً خَفِرات
حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْهَوَى الأَحْسابا
لا يُكَثِّرن فِي الْحَدِيثِ وَلاَ يَتْبَعْنَ
يَنْعِقْنَ بِالْبِهامِ الظِّرابا
طَيِّبات الأَرْدَانِ وَالنَّشْرِ عَيناً
كَمَهَا الرَّمْلِ بُدَّناً أَتْرابا
إِذْ فُؤَادِي يَهْوَى الرَّبابَ وَيَأْبَى الدَّهْرَ
حَتَّى الْمَمَاتِ يَنْسَى الرَّبابا
ضَرَبَتْ دُونِيَ الْحِجَابَ وَقَالَت
فِي خَفاءٍ فَمَا عَيِيتُ جَوابا
قَدْ تَنَكَّرْتَ لِلصَّدِيقِ وَأَظْهَرْتَ
لَنَا الْيَوْمَ هِجْرَةً وَاجْتِنَابا
قُلْتُ لا بَلْ عَداكِ واشٍ فَأَصْبَحْت
نَواراً ما تَقْبَلِينَ عِتابا[27]

ومن خلال توجهنا لرصد العلاقة بين عمر وبين رباب نستعرض الجدول التوضيحي الآتي الذي يبين عدد القصائد التي خصصها عمر لذكر رباب:

الرقم	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد الأبيات
1	حي الرباب	36	14
2	أخشى عليه العين	46	10
3	التوبة الكاذبة	47	11
4	طيبات الأردان	47	13
5	المهاة الشاردة في الليل	49	10
6	دع اللوم وكلني لما بي	65	11
7	أين إيمانك ....عندي؟!	75	12
8	فداؤك نفسي ثم أهلي	96	5
9	لم توف بالموعود	107	4
10	أفق قد أفاق العاشقون	130	10
11	عتاب الرباب	155	6
12	لو كان يأتينا مجاهرة	174	16
13	فداك حياتي	270	8
14	دل الفؤاد عليها	281	3
15	حب متيم	334	13
	مجموع الأبيات		146

خامساً - الثريا

يصل عدد الأبيات إلى ما يقرب من مائة وستة وعشرين بيتاً، والقصائد قصيرة النفس، سوى قصيدة واحدة تبلغ سبعة وخمسين بيتا تشترك فيها مع الثريا بعض الأسماء "فلقد نالت النصيب الأوفر من التفاته وحبه وشعره حتى بعد أن زوجت وارتحلت إلى الشام". (28)

ومع إن القصص والأخبار تحدثنا عن إن الثريا كانت أحظى حسانه عنده، مع غناها وترفها، إلا أننا في مقياس العلاقات السابقة في شعره لا نجد لها شأنا خاصاً ولا تعلقاً ينبئ عما تتحدث به الأخبار بل في مقياس العلاقات في شعره مثل هند، زينب والرباب وغيرهن، فضلاً عن أنها ذكرت في شعره أقل منهن، فهذه الحظوة لم تتحقق على مستوى إحصاء الذكر ولا على مستوى العلاقات، حتى نستطيع أن نميز علاقته معها بشأن خاص في شعره بل هي علاقات عرضية تتكرر مع كل النساء اللاتي ذكرهن وأوردنا شيئاً عنهن هنا، ((وكانت الثريا موصوفة بالجمال، فتزوجها سهيل بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، رضي الله عنه، ونقلها إلى مصر، فقال عمر المذكور في زواجها يضرب المثل في الثريا وسهيل النجمين المعروفين:

أيها المنكحُ الثريا سُهيلاً
عَمْرَك الله كيف يلتقيانِ
هي شاميةٌ إذا ما استقلت
وسهيلٌ إذا استقلَّ يماني))[29]

ومما قال عمر في الثريا:

حَدّثيني، وَأَنْتِ غَيرٌ كَذُوب:
أَتحبّينَني؟ جُعِلْتُ فِداكِ!
وَاصْدُقيني، فَإِنَّ قَلْبي رَهينٌ،
ما يُطِيقُ الْكَلامَ فِيمَنْ سِواكِ
كُلَّما لاحَ، أَوْ تَغَوَّرَ نجْمٌ،
صَدَعَ الْقَلبَ ذِكْرُكُمْ، فَبَكاكِ
قَدْ تمَنَّيْتِ، في الْعِتَابِ، فراقي
فَلَقَدْ نِلْتِ، يا ثُريا، مُناكِ
لا تُطيعي الْوُشاةَ، في ما أَرادُوا
يا ثُرَيَّا، ولا الَّذي يَنْهَاكِ
كَمْ فَتىً، ماجِدِ الخَلائِقِ، عَفٍّ،
قَدْ تمَنَّى في مجْلِسٍ أَن يَراكِ
حَالَ مِنْ دُونِ ذَاكَ ما قَدَّر اللهُ،
بِحَقٍّ، فما يُطيقُ لِقاكِ30

ومن خلال توجهنا إلى رصد العلاقة بين عمر وبين الثريا نستعرض الجدول التوضيحي الآتي الذي يبين عدد القصائد التي خصصها عمر لذكرها:

الرقم	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد الأبيات
1	مقام شنوع	61	6
2	ذاق ذرعاً بحبها	63	15
3	ليت هذا الليل	71	15
4	القلب الرهين	265	7
5	صفا العيش والمغيري عندي	285	9
6	أيها العاذل، أقل عتابي	303	20
7	تشكي الكميت	322	8
8	ليلة المطارف	350	11
9	هجوم الصبح	359	22
10	رسول	374	2
11	قضاء الديون	409	7
12	كيف يلتقيان!	416	4
	مجموع الأبيات		**126**

سادساً - أسماء

ويصل عدد الأبيات إلى ما يقرب من مائة وتسعة عشر بيتاً ومما قاله فيها:

أَمْسَى بِأَسْماءَ هذا الْقَلْبُ مَعْمودا
إذا أَقُولُ صَحا يَعْتَادُهُ عيدا
كَأَنَّه يَوْمَ يمْسي لا يُكلِّمُهاذو
بِغْيَةٍ يَبْتَغي ما لَيْسَ مَوْجودا
أَجْري عَلَى مَوْعِدٍ مِنْهَا وَتُخْلفُني
فَمَا أَمَلٌ وَمَا توفي الْمواعيدا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلانِ ذي بَقَرٍ
أَهْدَى لَهَا شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ وَالجِيدا
قَامَتْ تَرَاءَي وَقَدْ جَدَّ الرَّحيلُ بنا
لِتَنكَأَ الْقَرْحَ مِنْ قَلْبٍ قَد أَصْطيدا
بِمُشرِقٍ مِثْلِ قَرْنِ الشَّمْسِ بازِغَةً
وَمُسْبِكِرٍّ عَلَى لَبّاتِها سُودا
فَلَيْسَ تَبْذُلُ لي عَفْواً وَأُكْرِمُهَا
مِنْ أَنْ تَرَى عِنْدَنَا في الحِرْصِ تَشْديدا [31]

ومن خلال توجهنا إلى رصد العلاقة بين عمر وبين أسماء، نستعرض الجدول التوضيحي الآتي الذي يبين عدد القصائد التي خصصها عمر لذكر أسماء:

الرقم	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد الأبيات
1	البغوم وأسماء	24	8
2	أسماء والليل الطويل	38	15
3	نزوح أسماء سبب الحمى	54	9
4	أسماء لا توفي المواعيدا	100	7
5	الساق والقمرية	218	20
6	يعادي فراشة من أجل أسماء	222	4
7	رجاء	235	1
8	لن ترى أسماء	266	6
9	الوعد عن سدرتي مالك	290	14
10	جاء من تهوى	294	12
11	موعد!	338	6
12	داء مخامر	364	9
13	أنت الهوى	411	8
	مجموع الأبيات		**119**

تعليق عام على الجداول التوضيحية:

وهنا أود أن أشير إلى أنني قد اجتهدت في البحث عن رصد تعدد النساء لدى عمر، ومدلول ذلك، وتتبعت هذه العلاقة التي تحصر كما نرى في بعض الوظائف التي حددت طبيعة الغزل لديه، وتكوين القصيدة الغزلية عنده بما تقوم عليه من رصد مواطن الجمال والفتنة، وما كان رصدي لمعجم عالمه الشعري في هذه الناحية ليطمح في كلامه الشعري

الفردي الخاص في النظر إلى طبيعة الجمال، ومدى التطور أو الجمود على التقليد والتصور التراثي، وقد طرح هذا الافتراض ضمن معطيات مصحوباً ببعض النتائج المبدئية في هذا المجال.

إذن، عمر مفتون بالجمال بكل صوره، فالمرأة عنده تجسيد للفتنة والجمال، وعلى مستوى الذكر نرى أن أكثر النساء ذكراً في قصائده هي هند؛ إذ كثيراً ما تغنى بها، وأعجب بمفاتنها وأخذ بها.

وإذا أخذنا بتوزيع هذه الأبيات على رصد العلاقة بين عمر والنساء اللاتي تعرض لهن بعض المحاور الغزلية المكرورة التي ذكرناها سابقا عند الحديث عن (هند) نستطيع أن نعيد ما قلناه سابقا في المجال الخاص بالمظاهر الغزلية. والحب هنا مبذول حيث تتدخل عناصر كثيرة للإسهام في بقائه واستمراره سواء أكان من جانب عمر أم من جانب من يحبها، وقليلاً ما نجد الناصح الذي يدعو إلى ترك مثل هذه الأمور، بل الناصح لا يأتي هنا إلا مثيرا للواعج الحب والشوق، فهو يعصي دائما.

والحب هنا هو الحب المتنقل المتحول من واحدة إلى أخرى. إنه شعر استباحة الغزل واستحسانه في هذه البيئة. وهو مزاج يلازم صاحبه، وهو ملازم لعمر بلا ريب.

وقد اتفق مع الدكتور طه حسين في قوله عن عمر ((فلم يكن يسرف في العبث، وإنما كان يقتصد اقتصاداً، ويتوسط في حبه توسطاً، فيعف كثيراً، ويعبث قليلا))[32] فلم يكن عفيفاً كشعراء العفة، ولا عذرياً كالعذريين فكل ما يرد من ألفاظ وتعبيرات وإن كانت في الظاهر تعني العشق الذي يتعلق به الرجل بامرأة واحدة، ويستشعر روح الوفاء في كل حركة من حركاته وسكناته، غير أن الألفاظ والتعبيرات لها معنى آخر في وجهة الشعور والاتجاه، فالشوق، والهيام، والخصام، والذكرى، والأرق، والهم، والتمنع، والصدود، ودوام الحب، والصبر على لوعة الحب، وتفضيلها على الأقارب والأهل، وتحمل المشاق والصعاب، والمقلة الدامعة، والعهود والمواثيق، والنحول والهزال، وتوخي الوفاء، والصرم، والهجر بعد قضاء الحاجة، وتلمس الوصال، والرغبة، والبذل، والبعد، والجفاء، واللهو، والمتعة والإيجاب تارة والسلب تارة أخرى، كلها ألفاظ تؤسس قاموس الحب والعشق، سواء أكان ذلك عند عمر أم عند كثير عزة ومدرسته، غير أنهما يختلفان في وجهة الشعور والباعث والاتجاه.

ولعل رصد العلاقة في مثل هذه الألفاظ وغيرها هو الذي يؤسس القصيدة، ويرتبط بالتعبير عن ذات الشاعر واتجاهه، ونظرته إلى الغزل وطبيعته . ومن ثم أكثر الشاعر من استخدام الألفاظ المتصلة بالجو الحسي أو الغزل الحسي، وتأتي هذه الألفاظ في سياقها محملة بدلالات الاتجاه الذي يتردد في العبارات والصور التي تقوم عليها التجربة الشعرية والموقف العام. وتدل هذه الألفاظ المؤسسة على صعود درجة استخدام الشغف بالسمر الأنثوي، والمناوشة الجنسية عند عمر، ولم تخضع دلالات المعجم الشعري عنده للجدل الفني خلال مسيرته الفنية، وإنما كانت منظومة من الألفاظ والتعبيرات والمواقف التي تسير من خلال خط عرضي تتكرر مع جميع النساء. "وارجع إلى هذا الشعر الذي أنشدناه كله لعمر، فإنك ترى فيه من آثار هذا التحضر وهذا النعيم، سواء في أحاديث المرأة التي يقص أحاديثها، أو في تصوير نفسيتها ووصف خواطرها".[33]

وقد وردت بعض الأسماء العديدة في ديوان عمر

إلا أنها لم تكن بالتردد والتكرار الذي وجدناه عن الأخريات، وإنما كان مدلول الذكر عنهن هامشياً قياساً إلى غيرهن. وهي على النحو الآتي كما جاءت في ديوانه:

سلمى، أم زيد، أميمة، أم الصلت، رميلة، أم عمرو، سكينة، عاتك، عبدة، سلامة، سبيعة، صدوف، سليمى، أم بكر، ليلى، أم الوليد، العامرية، أمة الواحد، أم طلحة، عفراء، القتول، وهب، أمة الوهاب، سعدي، أم نوفل، جمل، أم سفيان، رميم، أم الهيثم، عثيمة، كلثم، بشيرة، النوار، فاطمة، أم العنين، عزة، ابنة العامري، حميدة، مروة، أم الحكم، أم نوفل، شنباء، أثل، لبانة.

ولا شك إن هذا التعدد النسائي في شعره أثرى المعجم الجمالي، فلكل واحدة منهن، تراكيبها الخاصة بشخصيتها ومكانتها لديه، وقد انعكست هذه الغزليات على تشكيل ألفاظه، وعباراته، وتراكيبه، وصوره، ومجازاته، وموسيقاه. وعالج كل هذه المواقف الغزلية بطرق فنية مختلفة، من مقطوعة إلى أخرى ومن امرأة إلى سواها. وعلى الرغم من تكرار بعض التراكيب والصور إلا أنها –كما أسلفت– أعطت بعدا جمالياً مختلفاً وجديداً طبقاً للموقف وللمرأة التي يحاكيها. وربما يكون الأمر شبه الثابت هو المركزية الذاتية لديه أثناء معالجاته لأكثر مقطوعاته.

إذن، نستلخص مما سبق أن تعدد النساء عند عمر يخضع لوظائف جمالية معينه، حددت طبيعة الرؤيا لديه، هذه الوظائف هي السمر الأنثوي والمناوشات الغزلية، ولوازم الإغراء، وإثارة الاهتمام التي تدور حول اللقاء، واللهو، والمتعة، والمغامرة والعتاب، والملام، وإثارة المنافسة بين الأتراب، وإلقاء التبعات على الوشاة، وتكرار قصص التحفز والتنكر، ومحو آثار اللقاء، ومسارقة النظر، وتنقله من واحدة لأخرى، وكان يقول عن نفسه لقد " كنت وأنا شاب أعشق ولا أعشق فاليوم صرت إلى مداراة الحسان إلى الممات "[34].

وسواء أصحت هذه المواقف الغزلية واقترنت بالواقع أم لا – والأغلب أنها ليست واقعية – فإن عمر يسرد هذه الرؤيا الغزلية من خلال منظور وظيفي يصدق على أية امرأة جميلة، المرأة المثال حسب منظوره والتركيز على مواطن الجمال فيها . فعمر مبتكر لمواقف غزلية يطبقها على جميع النساء وهي التي تؤطر لطبيعة الوظائف التي حددت منظور الغزل لديه.

ولا نكاد نلمح ما يعبر عنه المعجم الشعري في المرحلة الأخيرة من حياته من ميل في استخدامه تجاه ما يقال في حياته من أنه ابتعد وحاول أن يتنسك، وإن كانت تثيره لواعج الشباب والصبا، ولعل ما يعلل ذلك انقطاعه عن قول الشعر في هذه المرحلة أو قلة ما قاله منها.

وهذه القلة تنبئ عن امتزاج الجانب السلبي في استخدام مفردات المعجم، ونعني بذلك ما يدل على محاولة النسيان والعزاء بكبر السن، ومحاولات الإعراض، والصدود كي لا يعود إلى ما كان عليه، ويحدثنا عن هذا الإعراض صاحب الأغاني فيقول : " كان ابن أبي ربيعة حين أسنّ قد حج في سنة من السنين، فلما انصرف من الحج ألفى الوليد بن عبدالملك وقد فرش له في ظهر الكعبة وجلس، فجاءه عمر فسلم عليه وجلس إليه؛ فقال له: أنشدني شيئاً من شعرك، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد،

وهما يرويان كل ما قلت وهما لك، قال: ائتني بهما، ففعل فأنشداه قوله: أمن آل نعم أنت غاد فمبكر . فطرب الوليد واهتز لذلك، فلم يزالا ينشدانه حتى قام، فأجزل صلته ورد الغلامين إليه "[35].

ويتابع صاحب الأغاني في موضع آخر من الكتاب انصراف عمر عن الغزل ومناسبة إنشاده لقصيدة تقول وليدتي فيقول: " وقد كان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول بيت شعر إلا أعتق رقبة، فانصرف عمر إلى منزله يحدث نفسه، فجعلت جارية له تكلمه، فلا يردّ عليها جواباً، فقالت له: إن لك لأمراً، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال:

تقولُ وليدتي، لما رأتني
طربتُ، وكنتُ قد أقصرتُ حينا
أَرَاكَ اليَوْمَ قَدْ أَحْدَثْتَ شَوْقاً
وهاج لكَ الْهَوَى داءً دَفِينا
وَكُنْتَ زَعمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزاء
إذا ما شِئْتَ، فَارْقتَ الْقَرينا
بِرَبّكَ هلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ
فَشَاقَكَ، أَمْ لَقِيتَ لَهَا خَدِينا
فَقُلْتُ: شَكَا إِلَيَّ أَخٌ محِبُّكَ
بَعْضِ زَمَاننَا، إِذْ تَعْلَمينا
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ
فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعزى
مَشوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقينا
وَكمْ مِنْ خُلّةٍ أَعْرضْتُ عَنْهَا
لغير قِلىً وَكُنْتُ بها ضَنينا
أَرَدْتُ بعادها فصددتُ عَنْهَا
وَلَوْ جُنَّ الْفُؤادُ بِهَا جُنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد"[36]

هنا تبرز أمامنا تساؤلات عدة حول إعراضه وصدوده: هل مازال عمر باقٍ على وعده الذي قطعه على نفسه يا ترى؟! وهل سوف يظل الإعراض والصدود رائديه في تجربته الجديدة من الحياة والناس؟

وكأنما تنازع عمر في هذه القصيدة فاعليتان، تتغلب إحداها في البداية ثم لا تلبث أن تتلاشى أمام قوة الفاعلية الثانية التي تنبثق من صمود عمر وقوة إرادته، وتمكنه من كبح جماح نفسه مهما كان الذي أمامه جباراً.

فالفاعلية الأولى هي فاعلية الذكرى، والقلب المرهف والفاعلية الثانية هي فاعلية الزمن ممثلة في كبر السن والتأسي.

وتتجلى الفاعلية الأولى (فاعلية الذكرى) بوضوح في بروز بعض الألفاظ التي حرص الشاعر على أن تكون قوية فعَّالة توحي بالاستمرار، وتحمل مشاعر الشوق واللهفة مثل (طربت، أحدثت شوقاً، هاج، داءً، دفيناً...الخ) أما الفاعلية الثانية (فاعلية الزمن) فإنها تنبثق من مجموعة الألفاظ التي تدور حول المفارقة والتأسي بعد التذكر والتلهف السابقين، فكلها ألفاظ تحمل معنى الصد والبعاد والإعراض بعد الإقبال والشوق السابقين. فالجدل والتنازع ينتصب واقفاً بين الفاعليتين اللتين تتقابلان في السياق.

ففاعلية الذكرى تتأدى بفعل خارجي، فالذكرى ذاتها هي المثير الأساسي الذي يتضمن مثيراً آخر يلعب دوراً في إيقاظ الحس، وتوجيه الذات إلى هذه الوجهة، وتنبيهها إلى استعادة اللحظات التي حاول

أن يبعدها عن طريقه.

ولا شك في أن هذه المحاولات تبوء بالفشل أحياناً؛ لأنها ليست التوبة النصوح، والدليل على ذلك ما ذكره صاحب الأغاني: ((أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم، فانتظرت حتى تفرق القوم ثم دنوت منه ومعي صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي: تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل، فننظر هل بقي في نفسه منه شيء؛ فقال له صاحبي: يا أبا الخطاب، أكرمك الله، لقد أحسن العذري وأجاد فيما قال؛ فنظر عمر إليه ثم قال له: وماذا قال؟ قال: حيث يقول:

لو حُذَّ بالسَّيف رأسي في مودَّتها
لمرَّ يَهْوى سريعاً نحوَها راسِي

قال: فارتاح عمر إلى قوله، وقال: هاه!: لقد أجاد وأحسن؛ فقلت: ولله درُّ جنادة العذري! فقال عمر حيث يقول ماذا ويحك! فقلت حيث يقول:

سَرَتْ لعينكَ سَلَمى بعد مَغْفَاها
فبتُّ مستنبهاً من بعد مَسْرَاها
وقلتُ أهلاً وسهلاً من هداكِ لنا
إن كنتِ تمثالها أو كنتِ إياها
من حبها أتمنى أن يلاقيني
مِنْ نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقولُ فراقٌ لا لقاءَ لهو
تُضمِرُ النفسُ يأساً ثم تسلاها
ولو تموتُ لراعتني وقلتُ ألايا
بُؤسَ للموتِ ليت الموتَ أبقاها

قال: فضحك عمر ثم قال: وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى، ولقد هيجتما عليَّ ساكنا، وذكرتماني ما كان عني غائباً))[37] واسترسل عمر في الحديث عما مضى.

الخاتمة

وأخلص من ذلك كله إلى القول إن معظم الدراسات التي قرأتها ركزت على عمر وعلاقاته النسائية كظاهرة قصصية، يغلب عليها جانب الظرف والظرافة، ويشير شكري فيصل إلى هذا الجانب فيرى أن " الخطوة الكبرى الأخرى التي خطاها عمر بالشعر العربي أنه أشاع فيه روح القص"[38].

أما في هذه الدراسة الإحصائية المتواضعة لعمر فقد ركزت على مغامراته المميزة، وجرأته غير العادية، مشيرة إلى بعض المفاهيم والعائلات اللغوية الخاصة بعالم المرأة التي لفتت نظره فسلَّط عليهن الضوء ساطعاً، كما رصدت بعض الصفات التي ذكرها عمر دالة في المرأة وأسرف فيها كجمال الوجه، أو العين، أو الجسم، أو سواها، وأعطيت رؤيا حول هذا الموضوع.

إذن، لم يكن عمر مبتكراً لمواقف غزلية فحسب، بل هي مبتكرات فنية للشعر أقرب منها إلى الحياة الواقعية وقد عبر عنه القدماء بقولهم: " فلشعر ابن أبي ربيعة لوطة بالقلب، وعلق بالنفس، ودرك للحاجة ليس لشعر، وما عصى الله بشعر أكثر مما عصى بشعر ابن أبي ربيعة" [39]

إنّ خصائص المثل العليا في التعبير والتصوير عند عمر بن أبي ربيعة هو عالم الطبيعة باتساعه، إذ يكتنف كل خصائص التعبير والتصوير، وكلها عناصر جميلة تتسم بالإشراق والجمال والخصب

والترف، فهو يتجول بصيغة مصورة في عالم المحسوس، وتجسيم انفعالاته في قوالب مادية بيانية . معنى ذلك أنّ معجم الشاعر في مجمله مستمد من التصور التراثي، وصوره تجري على التأكيد البياني العربي بكل ما فيها من محدودية ومباشرة، وهي مفردة بسيطة ليس فيها إغراب، وكأن أساسها هو الطبيعة العربية البدوية، وبيئة الترف والحضارة، وهي العارض الذي يطرأ على شعره، يستحسن ما توحيه إليه طبيعته وحسه العربي بروحه الجماعية وما يطرأ عليه من ألوان الترف والنشأة، فهو في لغته وصوره يخضع لفاعلية الإنشاء التراثي الخارجي، ولم تكن هناك لغة مميزة تكشف عن أبعاد التجربة التي تتجاوز علاقات الأشياء في الشعر السابق، وإن كنا لا نخطىء اتجاهه ووجهة شعوره النابعة من قضية التراكم والتفصيل، غير أن تمثيل الأنموذج التراثي تعاين من أول وهلة في لغته وصوره، فيصبح النص في الأغلب الأعم تدفق الإنشاء التراثي وتراكمه في موقف بياني.

ولا بد من أن نقول كلمة بحق هذا الرجل الذي نال إعجاب أغلب من قرأ له وتمعن في شعره فقد ((كان القدماء مجمعين أو كالمجمعين على إكبار عمر بن أبي ربيعة وتقديمه، يستوي في ذلك خصومه وأنصاره، فقد كان ضرباً من الإكبار والتقديم هذا التحرج من رواية شعر عمر، وهذا الإشفاق من أثره في الفتيان والفتيات، فلم يكن لهذا التحرج والإشفاق مصدر إلا الاعتراف بأن هذا الشعر قوي خلاب ساحر للنفوس))[40]

وأحسب أنني بهذا التتبع التفصيلي الذي اجتهدت في إبرازه وتوضيحه، سواء على مستوى ذكر النساء، أو تقصي ملامح الجمال إحصائياً توضحت لي رؤيا مختلفة، على الرغم من تكرار بعض التراكيب الجمالية كما ذكرتها في ثنايا البحث، إذ إن بلاغة السياق في هذه الجداول هي المؤسسة لإبراز تلك الجماليات لدى عمر، وهذه لن يكون لها بعدٌ فاعلٌ لو اجتزأت من سياقاتها وقرأت كمدلولات مفردة منفصلة عن النصوص، وقد أشرت إلى بعض النتائج المختلفة من نص إلى آخر، ومن امرأة إلى أخرى طبقاً للمواقف الغزلية الجريئة التي كررها عمر بتحدٍ وإصرار في مجتمع انفصالي لا مجال فيه لهذه الجرأة الصريحة في ذاك الوقت، الذي لن نتغافل فيه أبداً زمنية النص وتاريخه؛ لكي يتماهى ومعطيات الممارسة القرائية، ومادامت النصوص فضاءات واسعة تتضارب فيها الآراء فالرؤيا سوف تظل متباينة مختلفة.

الحواشي

1 – أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: طبعة دار الشعب، 1969م، 1: 64.
2 – المصدر السابق 1:66.
3 – جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعة، بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1979م، 2: 18.
4 – إيليا الحاوي، في النقد والأدب، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط4، 1979م 2: 271.
5 – عباس محمود العقاد، المجموعة الكاملة لأعمال عباس محمود العقاد (تراجم وسير)، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1994 16: 219.
6 – أبو الفرج الأصفهاني، مرجع سابق 1: 74.
7 – عبدأ علي مهنا، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح وتقديم: عبدأ علي مهنا، بيروت: دار الكتب العلمية ط1، 1986م ص72.
8 – شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، القاهرة: دار المعارف، ط4، ص265.
9 – عبدالقادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1987م ص257.
10 – المرجع السابق ص178.
11 – المرجع السابق ص184.
12 – المرجع السابق ص184.
13 – المرجع السابق ص184.
14 – انظر العقاد (مرجع سابق 16: 173.
15 – كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الإشراف على الترجمة: د.محمود فهمي حجازي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، القسم الأول 1و2 ص249.
16 – إيليا الحاوي (مرجع سابق) 2: 172.
17 – طه حسين، حديث الأربعاء، القاهرة: دار المعارف ط13، 1: 296.
18 – رضا ديب عواضة، المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، عمر أبي ريشة، نزار قباني، إعداد: رضا ديب عواضة، بيروت: شركة رشا وبرس ط1، 1999م ص237.
19 – عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1: 537.
20 – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، القاهرة: دار المعارف 3، 1965 ص 225.
21 – الديوان (مرجع سابق) ص101.
22 – شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام (من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة)، بيروت: دار العلم للملايين،، ط6، 1983م، ص351.
23 – أحمد محمود خليل، في النقد الجمالي (رؤية في الشعر الجاهلي)، دمشق: دار الفكر، ط1، 1996م ص213.
24 – شكري فيصل (مرجع سابق) ص448.
25 – الديوان (مرجع سابق) ص119.
26 – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي (مرجع سابق) ص224.
27 – الديوان (مرجع سابق) ص150.
28 – الديوان (مرجع سابق) ص47 وص48.
29 – عمر بن أبي ربيعة، جبرائيل جبور (مرجع سابق) 3: 55.

30 – أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر 3: 437.
31 – الديوان (مرجع سابق) ص265.
32 – الديوان (مرجع سابق) ص101–100.
33 – طه حسين (مرجع سابق) ص308.
34 – شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة، (مرجع سابق) ص261.
35 – أبو الفرج الأصفهاني (مصدر سابق) 1: 76.
36 – المصدر السابق 1: 76.
37 – المصدر السابق 1: 145 و 146.
38 – المصدر السابق 1: 174 و 175.
39 – شكري فيصل (مرجع سابق) ص568.
40 – أبو علي القالي، الأمالي، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر 2: 15.
41 – طه حسين (مرجع سابق) 1: 307.
42 – محي الدين عبدالحميد، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، القاهرة، مطبعة المدني، ط3، 1965 ص83.

المصادر والمراجع

1 – الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: طبعة دار الشعب، 1969م.
2 – ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
3 – بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، الإشراف على الترجمة: محمود فهمي حجازي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.
4 – جبور، جبرائيل، عمر بن أبي ربيعة، بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1979م.
5 – الحاوي، إيليا، في النقد والأدب، بيروت: دار الكتاب اللبناني ط4، 1979م.
6 – حسين، طه، حديث الأربعاء، القاهرة: دار المعارف ط13.
7 – خليل، أحمد محمود، في النقد الجمالي (رؤية في الشعر الجاهلي) دمشق: دار الفكر، ط1، 1969م.
8 – ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، القاهرة: دار المعارف ط4.
9 – ضيف: شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، القاهرة: دار المعارف، ط6، 1959م.
10 – عبدالحميد، محي الدين، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، القاهرة: مطبعة المدني، ط3، 1965م.
11 – العقاد، عباس محمود، المجموعة الكاملة لأعمال عباس محمود العقاد (تراجم وسير)، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1994م.
12 – عواضة، رضا أديب، المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، عمر أبي ريشة، نزار قباني، إعداد: رضا أديب عواضة، بيروت: شركة رشا وبرس، ط1، 1999م.
13 – فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، بيروت: دار العلم للملايين ط2.
14 – فيصل، شكري، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام (من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة) بيروت: دار العلم للملايين، ط6، 1983م.
15 – القالي، أبو علي، الأمالي، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر.
16 – القط، عبدالقادر، في الشعر الإسلامي والأموي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1987م.
17 –مهنا، عبدأ علي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح وتقديم: عبدأ علي مهنا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1986م.